

عاشق الاحزان
السيد ابراهيم

عاشق الأحزان

مجموعة قصصية

بقلم

السيد ابراهيم

الإهـــــــداء

إليــــا ... فى عذابها وحرمانها

رحمة بها وبعذابها ....

المؤلف

فهرس

عاشق الأحزان

اقتربت منه فى خجل ثم همست له بصوتها الدافىء الذى تخلله حزن أحسه بكل ذرة من كيانه قائلة . . . هل ستاتى معنا ؟

ثم تنهدت وغلبتها دموعها وتوقفت عن الكلام .

ووجد نفسه يسألها وهو فى دهشه من أمرها :

ـــ ماذا حدث ؟ لماذا تبكين ؟

وسرعان ما أخرجت منديلها من حقيبة يدها ثم جففت دموعها وجاهدت لكى تكون طبيعية ولكن الدموع مالبثت أن عادت إلى جريانها من جديد ، وأحس بروحه تسقط من بين جنبيه وارتفعت دقات قلبه وشمله وجوم غريب وتلعثم وهو يعاود السؤال قائلا .

ـــ أرجوك . . . فيه إيه . . ؟

وبصوت متقطع وحزن طاغ قالت له صفاء :

ـــ احلام.. والدتها توفيت. النهاردة كلنا حنروح. وأنت؟

وغامت الدنيا فى عينيه وأحس رعشة تشمله .. أحس بجسده وقد فارقته الحياة .. وبدون وعى ردد ماتت والدتها .. لم يعد لها أحد . . والدها توفى منذ مدة بسيطه ثم والدتها . . لم يعد معها

فى البيت أحد . . غريب ولكن كيف ؟

وردت صفاء :

ـ كنت أمس على اتصال بها . . كنا نتحدث فى التليفون وفجأة صرخت ثم لم تعد ثانية إلى . . وصرخت . . ألو . . ألو . . أحلام فيه ايه ؟ وسمعنى زوجى فأسرع إلى وقلت له : أحلام كانت تحدثنى ثم فجأة صرخت وسمعت سماعة التليفون وهى تسقط على الأرض . . أرجوك . . أسرع اليها . . قد تكون فى حاجة المساعدة . . وأسرع حمدى . . قطع الطريق فى سرعة مذهلة . . اننا نسكن بجوار بعضنا ـ ومضى الوقت سريعا . . كنت أعاود الاتصال ولكن لا مجيب . . أحسست بقلبي يتحطم . . شعرته بخوف لم أشعر به فى حياتى . . آلمنى ضعفى وعدم استطاعتى عمل أى شىء لأحلام . . أنا أعرف أحوالها جيدا . . أعرف وحدتها رغم اخوتها المتزوجين . . وحيدة . . ماذا حدث لها ؟ . . صرت أتسائل وأنا أرتجف ثم صرخت عندما عاد حمدى وهو مطرق الرأس وبصوت باك سمعته يقول :

البقيه فى حياتك . . والدة أحلام توفيت . . عندما كانت تحدثك سمعتها تناديها بصوت غير طبيعى لم تتمالك نفسها . .

تركت سماعة التليفون وأسرعت اليها ولكنها لم تستطع عمل أى شىء ، أصابتها نوبة قلبية . . وفى لحظات انتهى كل شىء . . توفيت الام ، وبكى حمدى وهو يكمل حديثه قائلا :

ـــ بالله عليك اسرعى اليها ياصفاء . . . لن تستطيعى معرفتها . . انها مذهولة . . وجه أصفر وعينان تنظران الى لاشىء . . لاصوت . . ولا حركة . . ولا بكاء . . ولا أنين . . اخاف عليها . . حزنها هائل . . ألمها لا يطاق . . ووجدتنى أرتدى ملابسى وأنا فى ذهول ثم أسرعنا الى منزل أحلام ووجدنا زحاما وصراخا وكانت أحلام راكعة بجوار أمها . . كانت وكأنها تصلى فى محراب مقدس ، وعندما دخلنا لم تشعر بنا . . ظلت راكعة بجوار أمها ورأسها على حافة السرير . . منظر لا ينسى . . وظلت هكذا وكلما حاولنا ابعادها تمنعت واعتصمت بصمتها . . تركناها على هذه الحال طوال الليل لو رأيتها لما عرفتها . . انهار كل شىء فيها . . ليتك تراها ، هل ستذهب ؟

ولم يدهشها أن ترى أنور وهو يبكى . . من كل قلبه ومن خلال دموعه قال : سأذهب فورا . . سأكون بجوارها ان ما حدث شىء .. وما يحدث الآن شىء آخر .. سأذهب .. .

.. وانطلق الى منزل أحلام .. وفى مدخل الشارع وجد سرادقا مزدحما بالمعزين وجلس فى صمت وحين تحركت الجنازة وجد نفسه يسير فقد أحس وكأن أقدامه قد أصابها شلل مفاجىء ، ولكنه تحامل على نفسه .. كانت صورة أحلام فى خياله صورتها المطبوعة فى قلبه .. صورتها وهى تضحك له .. وهى تبتسم .. ثم صورتها الاخيرة وهى تصرخ فى وجهه وهى تهاجمه وهى تناصبه العداء .. رباه .. ما الذى حدث ؟ .. كيف حدث ذلك ؟ كيف أصبحنا عدوين ؟ .. أستغفر الله .. . هل هناك انسان أقرب اليها منه ؟ .. .

هذا الحزن الهائل الذى يحز فى نفسه .. من أجل من ؟ .. أن كل ما فى قلبه .. بل كل كيانه من أجل أحلام وهى تعرف ذلك حقا هل تعرفه ؟ ؟ لو كانت تعرفه هل كانت تفعل مافعلته ؟.. الوالدة توفيت كانت انسانة طيبه .. . لطيفه .. فيها رقة وحنان .. أخذت عنها أحلام أحلى صفاتها .. خسارة كبيرة ، ان تموت هذه الام الطاهرة .. ولكن أحلام لماذا فعلت ذلك

هل حقا كانت تطمع فى انسان أعظم وأكثر غنى ؟ .. هذا ما سمعه .. لماذا تجاوبت معه أذن؟ .. كان ما حدث شيئا مؤلما ما الذى فعلته ؟ لماذا تهاوى الحلم بهذه الطريقة ؟ كانت

تصرخ وهى تقول :

ـــ اصرف النظر عن الموضوع . . خلاص ؟ خلاص؟ . .

لماذا ؟ ما الذى حدث لقد فكر فى الانتحار . . كان يتعذب . .

نعم . . تعذب . .. لم يقل شيئا .. ولكنها لم تتزوج . . مرت

شهور طويلة . . كانت قطيعة بينه وبينها استغلها اخوان السؤ

لتوسيع شقة الخلاف . . أتسعت بينهما الهوة أصبحت هائلة

ولكنها لم تتزوج . . أين الثرى الكبير ؟ صاحب المنصب

الخطير ؟ صدق ذلك صدق الهمس الكثير عن الطمع والجشع . .

عن أحلام بنت اليوم ؟ ولكن لم يحدث شيء .. واليوم هو

بكل أحزانه يسير فى جنازة والدتها .. ليس فى قلبة متسع

لشيء آخر .. كان يظن أنه يكرهها بعد أن سحقتة .. بعد أن

سخرت من عاطفته ؟ ؟ ولكن اليوم يحس أن المصاب مصابه

وأن الكارثة حطت فوق رأسة .. كيف أنت الآن ياأحلام ؟ . .

لا تبكين . .. . لاتستطيعين البكاء بالطبع فأنت فى غيبوبة . .

أنت فى ذهول .. ليتك تبكين ... ليتك تبكين فتغسل الدموع

أحزانك وتطلق العنان لعواطفك الحزينة وتخفف عنك . ..

آه لو يستطيع أن يضيف أحزانها الى أحزانة . . انه قادر على

ذلك . . نعم قادر على حمل أحزان الناس جميعا .. انه عاشق

الاحزان .. ليته يستطيع أن يحمل عنها أحزانها .. كيف ذلك ؟

ثم تنبه لنفسه فصرخ من أعماقه :

ـــ رباه .. لقد نسيت نفسي .. لقد توقفت الجنازة . . سيصلون عليها فى المسجد الآن .. سأصلى .. و بعد الصلاة وجد نفسه يستقل تاكسيا ويذهب خلف عربة الموتى الى المقابر ... وهناك التقى بها وجها لوجه ، لم تكن تختلف عن صورتها التى تخيلها .. صورتها بأحزانها .. رأته ولكنها لم تكن موجودة . تنظر ولكن الى لاشيء .. موجودة وغير موجودة .. وانتهت مراسيم الدفن وعاد الجميع وعاد هو الى أحزانه .. الى آلامه .

وفى المساء كان لابد أن يراها .. أن يقدم لها تعازيه ، والتقى بها .. كانت فى ثوب أسود .. الدموع متحجرة .. الحزن تنطق به كل جارحة من جوارحها لم يستطع النظر اليها ، ومن خلال شفتين ترتجفان سمع نفسه يقول :

ـــ البقية فى حياتك ؟ ..

ومدت له يدها باردة كالثلج ، ومن خلال شفتيها الذابلتين قالت:

ـــ حياتك الباقية .

أراد أن يقول شيئا ولكن ما الذى يستطيع أن يقوله . . . تركها لأحزانها ولكن قلبه لم يتركها وفى طريقه لمغادرة المنزل

التقت به صفاء ، وجدته حزينا مهدما وبصوتها الحزين قالت :

ــ شد حيلك .. أحلام فى حاجه لك .. اللى حصلى سره عندى .. لولا انها كانت مخلفانى مقاش .. أنا كنت باتعذب مرتين .. علشانك وعلشانها .. هى مخلصة لك .. لكن اخلاصها الأكبر كان لوالدتها . نذرت نفسها لها .. أقسمت ألا تتزوج لانها تخشى أن تتعذب أمها .. لو ابتعدت عنها .. كانت تلبى طلباتها فى سعادة .. كانت فى خدمتها ليلا ونهارا .. بل أن الساعات التى كانت تقضيها فى العمل كانت عذابا بالنسبة لها .. كانت تسأل عنها بالتليفون وتظل قلقة حتى تعود اليها . أحلام مخلصة لك .. انها فى حاجة لك .. لا تتركها وحدها .. لقد ذكرت الحقيقة .. أحلام تعذبت كثيرا من أجلك .. أنت تفهم كل شىء .

ولأول مرة منذ حدثت القطيعة أحس أن لحياته معنى ووجد نفسه يمد لها يده ويضغط عليها بعرفان ، ثم عاد الى السرادق وهو يحس بكل الموجودين .... أحس بقلبه يعانق الجميع فى صمت ، وتعلق بصرة بالمصابيح الباهرة الضوء وهى تلقى بأشعتها البيضاء لتبدد ظلام الشارع الكبير ...

خريف العمر

الجو متقلب ، والهواء بارد مشبع بالتراب ، والشمس مستكينة للسحاب تقبع فى أسره وتظل بين ذراعيه مدة ثم يطلقها وما تكاد تحس بحريتها حتى تجد نفسها وقد عادت إلى أسره من جديد ..

جو غريب رغم أننا فى الربيع .. والعجوز يسير على قدميه واهنا ضعيفا يسحقه الجو المتقلب ويعذبه الهواء البارد وهو فى سيره نحو محل ساعاتى عماد الدين يسير فى إصراره مكشرا عن أنيابه التى أفناها الزمن وترك مكانها نخرات وفجوات . . يسير بوجهه المجعد وشعره الأبيض وعيونه التى ذهب بريقها والتى تبدو رغم ذلك متشبعة بالاصرار مليئة بالتحدى ويدخل العجوز المحل الصغير ويجد نفسه فى عمرة الضيق محشورا بين الزبائن ويحس بالملل والضجر ، يحس بالعذاب ، ويسمعه الجميع ـ الزبائن والاسطى صاحب المحل ـ يصرخ بصوت متحشرج يخرج من جوفه رفيعا غاضبا :

ـــ الساعة يا أسطى ، الساعة فالصوا . . أنت غشتنى . . أنت غشاش .

وشمل الذهول الاسطى، وتطلعت عيون الزبائن نحوه فى تساؤل ودهشة ، وصنع صاحب المحل ابتسامة زوقها بكل ما تعلمه من السوق وقال بس اقعد شوية .. علشان نتفاهم وطلباتك ستجاب

ورد العجوز وقد تصاعد الدم إلى رأسه واهتز عوده الجاف ولمعت عيونه بالغضب ، واهتز وهو يقول :

ـ بلاش كلام فارغ .. أنت فاكر إنى عيل صغير تضحك عليه ، الساعة بتاعتك مبتمشيش الساعة واقفة مبتتحركش ، حتموتنى خدها . . ومد يده المرتعشة نحو صاحب المحل وقال بصونة الغاضب :

ـ اخلعها . . ارميها . . حرام عليك . .

وفقد صاحب المحل شعوره فأمسك يده وضغط عليها بأصابعه القوية ، وصرخ العجوز وأسرع أحد الزبائن وخلصه من يد الاسطى ، واهتز العجوز فى عنف ثم ارتد على عقبيه فى محاولة سريعة للخروج من المحل . . وأدهش الزبائن توقفه الفجائى وتراجعه وهو يلوك الكلمات فى فمه الخرب :

ـ مش معقول .. بنتى الوحيدة ، أهلا بنتى .. أهلا حبيبتى ، ومين الأمور دا . . ؟ لازم ابنك ، حفيدى . .

وانحنى على الطفل وقبله ، وفزع الطفل وصرخ بصوته البرىء

ـــ ماما . . ما ما . . العجوز ؟

وفقدت السيدة أعصابها ، شملها خوف وذهول ، وانتهرت العجوز قائلة :

ـــ انت مجنون . . أكيد مجنون . . محل مجانين . .

وهرولت خارجة وهى تسحب طفلها الصغير . . وانهار العجوز على أقرب كرسى وظل يبكى بصوت عال ، وبين الحين والحين يضرب كفا بكف ويقول :

ـــ ربنا يسامحك ياحياة . . ربنا يسامحك يابنتى ، ربنا يسامحك وكمان نسيانى ؟

سيبانى زى كل الناس ، ياخسارة العيش والملح . . دانا أبوكى . . وظل يبكى . .

وأثرت دموع العجوز فى زبائن المحل . . وتحرك الاسطى نحوه فى اشفاق ، وربت على كتفه فى حنان وتطلع اليه الرجل بدهشة من خلال دموعه وقال :

ـــ وانت كمان ربنا يسامحك . . انت غلطان مين عرفك حكايتى . . دى حكاية كبيرة . .

وفى صوت واحد قال الجميع :

ـــ اتكلم ياعم . . قول قول لنا حكايتك . . ؟

واخرج العجوز منديلا متسحا مرة على وجهه ثم مسح أنفه وابتسم ابتسامة صغيرة ثم قال .

— منها لله بنتى . . الله يسامحها . . مين يصدق اللى عملته . . تصور البنت حبت واحد ضابط وتجوزته . . هربت معاه ، وانا كنت طول عمرى بحبها ، أمها ماتت وسابتها وأنا كنت بالنسبة ليها أم وأب طول اليوم معاها . . ألاعبها وأضاحكها . . ونسيت أمها وبعدين كبرت وحبت واتجوزت من ورايا . . خافت منى آل ايه . . ؟ . . أنا حرفض جوازها حرفض سعادتها . . هودا معقول ، هوفيه انسان يكره سعاده بنته . . ابدا والله عمرى ما أكرهتها على شىء طول عمرى بحبها . . المهم خانتنى سرقت فلوسى وهربت . . . وجعت وحفيت رجليه لحد الناس مسلفونى قرشين ، ورغم كدا والله مكرهتهاش كان نفسى أشوفها . . كنت أقعد طول اليوم أفكر فيها . . فى خيانتها لى ، ورغم كدا كان نفسى أشوفها ، والنهاردة اتقابلنا . . الخاينة هربت أنكرتنى أنا مجنون ؟ . . ربنا يسامحها وهب واقفا ثم هرول خارجا لا يلوى على شىء . . وحار الجميع فى أمره . . لقد ترك الساعة وجرى خارجا ولم تطل حيرتهم فقد سمع الاسطى

والزبائن ضحكة عالية لعلعت خارج المحل ودخل صاحب الضحكة وهو يقول :

— وكان فيه دموع . . أنا شفت الباشمهندس خارج من هنا قلت لازم عملها . . حكى حكايته وخلى دموعكم تجرى ، متخافوش . . ماتصدقوش كلامه .

وسأله الاسطى : ازاى . .

— الباشمهندس بيخرف . . رجل له ماضى . . راجل بيحب

وتعالت ضحكاته ثانية . . وسألة الأسطى فى غضب :

— يا أخى بيحب أيه . . مش تفسر . . ؟

وقال الرجل ضاحكا :

— انتظر حتى ألتقط أنفاسى وسأتكلم .

خيم الصمت على المحل ، وفجأة تكلم الرجل :

— أنه جارنا ، يظل باستمرار جالسا فى القهوة المجاوره . . زارنى يوما وقص على حكايته وتأثرت جدا ، وأقسم أننى بكيت وقدمت له كل ما طلبة من مساعدات بسيطة وتعلقت به وأحببته ذكرنى بوالدى الذى توفى منذ زمن بعيد ولم أتمتع بحنانه . . وذات يوم سألت عنه فقيل لى أنه مريض وأردت معرفة عنوانه

وسألت عنه زبائن القهوة ، وقوبل سؤالى بالدهشة والتساؤل .
وكنت ألمح ابتسامة خفيفة يحاول محدثى أن يخفيها وهو يقول :
ــ الباشمهندس منعرفش له عنوان . . .

وأغادره وأسأل غيره وهكذا دون أن أعثر على من يدلنى على عنوانه ، وأصابنى يأس هائل ، ولكن فى اللحظة التى بلغ فيها يأسى مداه وجدت الجرسون يأتى الى المحل ويقول لى وهو يناولنى ورقة :

ــ عنوان الباشمهندس أهو . .

وأمسكت الورقة وقرأت العنوان ثم أغلقت المحل وأوقفت سيارة أجرة وأعطيت السائق العنوان ، وشقت العربة طريقها وسط زحام الشوارع الكبيرة وشيئا فشيئا غادرت الاحياء المزدحمة الى الشوارع الهادئة ، وفى الزمالك ، وفى أحد الشوارع ضغطت جرس الباب ورن رنينا متواصلا وفجأة رأيت كلبا هائل الحجم ينظر الى شزرا من خلال شراعة الباب ، وتراجعت ولكن الصوت الذى أعرفه نهر الكلب بشدة فتراجع وتقدم العجوز ثم فتح الباب واستقبلنى بابتسامة واسعة وترحيب حار ، لم يكن يبدو عليه المرض وسررت لذلك وصافحته بسعادة ثم

قادنى الى حجرة الصالون وجلست وجلس قبالتى وأقعى كلبه الهائل بجواره .

وبعد التحيات سألته :

ـــ لماذا لم نعد نراك فى القهوة ؟

وابتسم العجوز ثم قال :

هذه الأيام . . لا أستطيع . . انها فترة حداد بالنسبة لى لااستطيع ان اخرج انى اظل اهيم على وجهى واعيش فى الشوارع وفى المقاهى طوال العام اما هذه الايام فانى انقطع للذكرى فقط

وسألته : الذكرى ؟ فابتسم ابتسامة شاحبة وقال :

ـــ نعم الذكرى . . ذكرى الخائنة . . ذكرى معبودتى . . ذكرى حبى . . ذكرى فؤادى . . ذكرى الخائنة .

ولا أدرى لماذا أحسست بالخوف ، وتطلعت اليه والى الكلب وازعجتنى نظرات الكلب . . كان ينظر نحوى وكأنما يحاول أن ينفذ الى أعماقى ويستجوبنى . . . بل وشك فى عندما ظهر الخوف فى عيونى وكأنه يقول لى محذرا :

لست صادقا فى حبك لصاحبى . . انك بدات تشك فيه . . مثلهم :

وأحسست بقشعريرة تعترينى ولكنى تمالكت نفسى واستمر محدثى يقول بأسلوب غريب وصوت شاب حتى خلته وقد عادت به الأيام الى ايام الشباب . . كان يستعيد الماضى ، وتقمص شبابه وهو يحكى بأسلوب جديد تماما :

ـــ زمن بعيد مضى وكنت شابا .. وكانت فتاة فى ربيع العمر .. التقينا على الود وربط بين قلبينا الحب ، وانتظرت حتى تخرجنا من الجامعة وأردت اتمام الزواج ولكن الفتاة كانت قد خانت ودى .. أحبت غلاما وتزوجته ، وسافرت معه الى الخارج وضاقت الدنيا فى وجهى ولم أستطع العيش فى القاهرة ، فطلبت نقلى الى الاسكندرية وأردت أن أغسل جراحى بين أمواج الثغر الجميل ، ومضت بى الايام وانقضت السنون ثم سلبتنى الحياة شبابى .. سرقته دون أن أدرى .. أصبحت عجوزا ولكننى لم أنسها .. ولم أنس حبى لها .. وفى اليوم الذى حددته لزواجنا أستعيد الذكرى وأحتفل بها .. أحتفل بالخيانة وأبصق على الخونة ..

وهب واقفا وتبعه الكلب مزمجرا .. وأحسست بالعرق البارد وهو يبلل جسدى كله ، شملنى خوف لا أستطيع وصفه .. ووجدتنى أسأل نفسى :

ـــ هل الرجل مجنون ؟ .. أم يقول الحقيقة وأهاجته الذكرى ؟ ..

ولم أستطع الاجابة على سؤالى بل لم أرد أن أتعرف على

الحقيقة . . وعندما جلس الباشمهندس ثانية تركته يحكى كل ما أراد دون أن أقاطعه ودون أن أحاول أن يسلبنى الخرف قدرتى على أن أتحمل قصصا كثيرة عن الاسكندرية والقاهرة التى استقربها أخيرا بعد إحالته على المعاش . . ومر الوقت بطيئا ثقيلا وأردت الاستئذان ولكنه طلب منى أن أمكث معه قليلا . . ومر الوقت ابطأ من ذى قبل وأخيرا افرج عنى بعد أن هده التعب والحديث . .

وخرجت وأنا لا أكاد أصدق أنى استطعت الخروج . . ووجدتنى أنظر نحو باب الشقة الذى أغاق خافى ثم أقول :

ـــ الحمد لله . . نفدنا من الباشمهندس . . توبة . .

وسمعت البواب يضحك . . كان خلفى تماما ، ووجدت الرجل الأسمر يقول :

ـــ متخفش يابيه .. الباشمهندس ميخوفش ..راسه كلها حب حب . . ؟

نطقت بالكلمة غير مصدق . . .

فقال البواب :

ـــ أيوه حب . . الباشمهندس بيحب . . انه دائما هكذا

طول عمره يخترع قصصا وحواديت وحوادث يعتقد أن حبيبته خانته وابنته خانته .. انه يشعر بالملل كان الله فى عونه طول عمره وحيد ، حياته لا تطاق .. لم يغادر القاهرة أبدا .. أعرفه منذ أكثر من ربع قرن .. لم يتزوج أبدا ، كان لا يعجبه العجب سرقة الزمن وغرق فى وحدته ، وعندما أحيل الى المعاش ازدادت حالته سوءا .. انه يختفى بالأسابيع وأبحث عنه وأعيده الى البيت .. وأعتنى به حتى يستقر حاله شيئا ما. ثم يخرج ولا يعود الا حطاما .. انه مسكين ..

وتركنى البواب وانصرف .. كم عذبنى العجوز بقصصه .. لم يستطع أى انسان ان ينتزع الدموع من عينى واستطاع الباشمهندس ان ينتزعها .. بأكاذيبه ، ياله من ممثل قدير ووجدتنى أضحك وتحركت قدماى وسرت فى طريقى لا ألوى على شىء .. ولم يعد العجوز لمقابلتى بعد ذلك أبدا .. أعتقد أنه كان يراقبنى والبواب يحدثنى فلم يعد لزيارتى ولم أعد انا للتفكير فى اموره الى ان رايته اليوم خارجا من المحل ودون ان ادرى وجدتنى اضحك و .. وقطع حديثه دخول العجوز وصوته الكسير وهو يقول مخاطبا الأسطى :

ـــ معلهش ياابنى .. انا زى أبوك برضه .. لو كان ابنى.

عاش كان بقى زيك . . هات فلوس الساعة . الحقيقة انا مش طايق الساعة فى البيت ، دى بتفكرنى بالزمن بتسرق الوقت ، بتسرق عمرى . . حرام مش عايز ساعات . .

ودون أن يدرى صاحب المحل وجد يده تمتد بالنقود نحو العجوز الذى اختطفها وخرج مهرولا وهو يتحدث بكلام لم يفهمه أحد ، وخيم الصمت من جديد على المحل . وأراد الرجل الضاحك أن يكمل حديثه ، ولكنه لم يجد ما يقوله ، فنظر نحو صاحب المحل ووجده يجفف دموعه بمنديله . . فسأله : أوتبكى ؟ . .

فرد عليه بحزن قائلا : يجب أن نبكى جميعا . . ،،،

العمــــلاق

صرخ فى وجوههم صرخة رفيعة لم تزدهم الا ضحكا . . فلم يجد بدا من الانصراف أعطاهم ظهره فى عصبية ، وقبل أن يخطو خطوة واحدة تلقفته أيديهم وأجلسوه فى مكانه ثم ابتسم كبيرهم وقال :

ــ أنت تظن أننا سخرنا منك ومن أفكارك . . أو أننا تجاهلنا مشاكلك . . كلا لا يمكن أن ننساك . . كيف ننسى قطعة منا ؟ حقا شغلنا المرح ولعب الورق والمكسب (الحلال) . .

وانفجر الجميع فى الضحك . . ولكن المتحدث زجرهم ، ثم استمر يقول :

ــ أبدا لا تعتقد هذا . . لقد فكرنا فى كل شىء ، وأعددنا لكل شىء عدته . . رسمنا لك خطة محكمة ، وما سكوتنا الا خوفا عليك أولا . ثم لكى لا يكتشف العدو تدابيرنا وعلى أية حال غدا سنتقابل أمام النادى وسترى ما يسرك .

واطمأن قلب « زهران » لم يتخل عنه أصدقاؤه . . الجميع معه يدبرون ويخططون وأن غدا لناظره قريب . . وفى الغد التقى

بكبيرهم الذى أخذه معه ودخلا النادى , وفى صالة المصارعة اليابانية استقر بهما المقام وانشغلا بالنظر إلى الدروس والتمارين ، وبعد مدة أقترب المدرب من زهران وأمره صديقه بأن يستعد للتدريب . . ستتعلم كثيرا من الحركات تتحصن بها لمصارعة عدوك القوى . . وتساءل زهران فى دهشة :

ـــ هل معقول أن أهزمه ؟ . . أن أدخل الحى الذى يحميه ويدعى أنى لو دخلته ألوثه . . هل أستطيع أن أقاتل العملاق ؟

وطمأنه صديقه بابتسامة ، ومضت أيام وزهران يتعلم ويتدرب حتى تمكن من عدد من الحركات البارعة ، وفى المساء التقى بصديقه وشلة الأنس ، وتدارس الجميع الموقف ورسموا الخطة ، وارتفعت الضحكات ، وتقارعت الكئوس احتفالا بالنصر .

وفى الصباح تسلل زهران بجسمه الضئيل واخترق شوارع الحى متسللا بجوار الحائط ، وتعجب الناس الذين صادفوه . . فهم يعرفون حكايته . . يعرفون أن ، العملاق فتوة الحى أقسم أن يحطمه إذا رآه يقترب . . بجرد اقتراب من بيوت الحى . . منعا لفساده وشروره . . فزهران يعمل قوادا ، ويحاول أفساد

الفتيات واغرائهن بالمال وضج منه الجميع، ولم يردعه الا العملاق الذى حذره ومنعه من دخول الحى .

الدهشة على الوجوه . . زهران يتقدم نحو العملاق . . العملاق لا يصدق ما يراه . . أعتقد أن زهران يحاول أن يتوب على يديه أن يستسمحه . . فتجاهله ، واقترب زهران منه أكثر وأكثر . . العملاق يحاول النهوض . . زهران وثب فجأة . . أصبح خلفه ، استغل لحظة نهوضه بحركة من حركات المصارعة اليابانية ، بالغدر ألقاه أرضا . . الذهول يسيطر على الناس وعلى زهران الذى لا يصدق ما حدث ، العملاق وقع على ذراعه . . ذراعه تحطم . . عصابة زهران تقترب وتشترك فى إذلال ، العملاق . . يتلقى العملاق ضربات فوق ذراعه الضخم . . الذراع يستكين فى أسى الدهشة تسيطر على الجميع . . زهران سعيد يصرخ فى نشوة ويشير بأصبعه :

ــ لقد هزمت العملاق . . إنهار كجوال من القش . . لم يكن شيئا . . هاها . . لقد هزم . .

الحزن على وجوه أهالى الحى . . لا يصدقون ما حدث ، ولكنهم فى نفس الوقت يهمهمون فى غضب . . زهران يسخر

منهم ، الدموع تبلل وجوه النساء ، الفتيات يبكين ، الرجال يضربون كفا بكف ويقولون .

ــ من كان يصدق؟ . . العملاق يهزمه زهران الجرذ الحقير؟ . . زهران . . الصعلوك . . عصابة زهران تصفق فى شماتة . . تصرخ فى نشوة التحدى فى عيونهم الاذى ، فى أيديهم . . يتجرأون على النساء وعلى البنات ، أشباحو الحى . . يطاردون الجميع بالكراسى ، الرجال يطرقون رؤوسهم . . الشر يحاصرهم . . العملاق ملقى على الارض ينزف دما . .

ودون أن يحس أحد ، وبهدوء وحرص شديدين تحرك العملاق . . عاود النهوض بسرعة خارقة ، وأخذ يزأر فى غضب . . الثأر يلتمع فى عينيه . . النار تسرى فى بدنه نسى كل شىء . . ذراعه المحطمة يضعها بجواره فى حرص . . وذراعه السليمة رفع الكرسى واخذ فى مطاردة العصابة وسحقها . . العصابة تحاول الفرار ، ولكن الأهالى سدوا عليها المنافذ . . رجعت فى ذلة واستقبلها العملاق استقبلها وسحقها بجبروته . . زهران يتلقى ضربات قاضية يسقط على الأرض . . الفزع على وجهه . . عيناه جاحظتان ، وجهه اصفر . . هربت منه الدماء ، سقط لا

حراك به .. خذلته العصابة وخذله القدر ، تلقى الضربه القاضية ، الاهالى تشدهم المعركة ، يلتحمون فى صف واحد نحو زهران ويصفقون عليه ، زهران وسط بركة من دمائه .. انتصر العملاق .. ووقف شامخا ، رغم ضلوعه المحطمة ، وذراعه المهشمة ، وقف صلبا كجدار من فولاذ ، يخرج من عينيه الشرر .. تحطمت على صخرته المؤامرة ، وسقط العدو تحت الاقدام .. انتصر رغم انه كان ينزف دما .. »

هـــــروب

امتلأت رأس لافون منذ الصغر بأحلام العودة إلى أرض الميعاد فقد شب وســـط أهله وهم من اليهود المتعصبين الذين يعتقدون إعتقاداً لا يقبل النقاش فى أن الخلاص كل الخلاص فى العودة لأرض الذكريات ، الأرض التى وعد الله بها شعبه المختار شعب اسرائيل .

وعلى ظهر إحدى البواخر المتجهة إلى أرض الميعاد اجتمع شمل الأسرة وكان أكثرهم فرحا لافون الشاب الذى كان يعتقد أن بداية الحياة ستبدأ عندما تطأ أقدامه أرض الميعاد . . كانت ذاكرته مملوءة بقصص اضطهاد اليهود فى كل زمان ومكان يود أن يرى المجتمع الجــديد الذى خلقته إسرائيل مجتمع السعادة والأحلام التى طالما تغنى بها شعراء إسرائيل وفلاسفتها وأخذ يتخيل السعادة التى سيحظى بها والإستقرار الذى سوف ينعم به وسوف تنعم به أسرته وأخذته الأحلام إلى تصورات رائعه فوجد نفسه يعيش فى مدينه حديثة رائعة وحولها الخضرة اليانعة التى حولتها الأيدى اليهودية إلى جنة خضراء بعد أن كانت صحراء قاحلة وأحس بالشوق لإنسانة رائعة رآها بعين

الخيال فاتنة شقراء من بنات أوربا الساحرة ورآها وهى مقبلة عليه مرحبة به فاتحة ذراعيها له بعد طول الإنتظار . . أحلام رائعة ملأت رأسه وجعلته طوال أيام الرحلة غارقا حتى أذنيه فيها يستعد لها ويعد نفسه لاستنشاق عبيرها .

ثم كان اللقاء واجتمع شمل مئات الأسر على أرصفة الميناء فى أرض الميعاد ثم كانت أولى المفاجآت لوجود مئات من عربات اللورى فى انتظارهم وتم شحن العائلات فى هذه اللوريات وكان الوقت شتاء والبرد يكاد يفرى الابدان ولكن هذا لم يمنع لافون من الإبتسام ، إنه سعيد فهو يستنشق لأول مرة عبير الارض الخالدة وهاهى عيناه تكتحلان برؤية الأرض المقدسة حقاً هناك أسئلة تدور فى رأسه وكلها حول ما رأته عيناه وما سمعته من حديث ثم النظرات القاسية التى اكتسحته منذ وطئت أقدامه أرض الميعاد وفى الطريق رأت عيناه لأول مرة المستعمرات المحصنة التى يقيم فيها أفراد الشعب المختار ، أحس وهو مذهول أن المعركة لم تنته بعد وأن المحاربين اليهود أسرى هذه المستعمرات المحاطة بالأسلاك الشائكة وأدهشه ذلك إذ لم يخبروه وهو قادم من بلاده فى آسيا أن الوضع هكذا وأنه ذاهب إلى ميدان قتال كان يعتقد أنة ذاهب إلى جنة الله أما الذى رآه فلم يكن يخطر له

ببال وأحس بالدهشة والرعب ثم بدأ يتطلع لوجوه أسرته ووجد الجميع فى مثل حاله وجد الدموع فى عيون أمه ووجد والده العجوز وقد تملكه خوف شديد ثم وجده وهو يسعل بصوت مرتفع بعد أن لفعه برد الطريق الطويل .

وفى منتصف الطريق استراح الركب بعض الوقت فى إحدى المستعمرات ولدهشته لم يسمحوا لهم بالنزول من العربات بل قدموا لهم ما يشبه المساء ثم أمروهم بالرحيل ورأى فى عيون الجنود نوعا من الازدراء وتعجب . . لم يكن يعرف لذلك الإزدراء سببا . . . أليسوا كلهم يهوداً من أفراد الشعب المختار وكان يتساءل ولكن لم يكن هناك جواب لهذا التساؤل . . واستمر الموكب الطويل فى سيره حتى انتهى إلى المستعمرة التى اختيرت مقراً لسكناه وهناك استقبلهم أهلها وأحس بفرحة اللقاء أحس بالشعور بالأخوة يحيطه وهو وسط هؤلاء الناس الذين استقبلوه ولكن عندما لم يتقدم أحد لمساعدته فى إنزال والده المسن كاد يبكى . . لماذا يعاملونه هكذا ؟ . . لماذا لا يجد تعاونا من أحد ؟ . . ويرد على نفسه مطمئنا لا ريب أننا غرباء والغريب فى كل زمان ومكان يعامل بحذر وبمضى الأيام ستكون هناك صداقة متينة بينه وبين كل الناس وأسعده أن يجد فتاة

حسناء بعيون خضراء وشعر أصفر بديع تقترب منه ثم تمد له يدها مصافحة وأحس بحرارة اللقاء فاحتضنت يداه اليد البضة فى قوة وأمل وأحست الفتاة بعاطفة حماسية نحو هذا اليهودى القادم عبر سهول آسيا . . وأحست بالشوق وقدمت له باقة من الزهور ثم عاونته فى إنزال بعض الأمتعة وتركته نهبا للقلق والحيرة والشوق العظيم .

ومرت الأيام وبمرورها تكشفت له جوانب كثيرة كانت خافية عليه ، وأحس بالأسى . . بأن الآمال الكبار التى كان يحلم بتحقيقها تصادفها كثير من العقبات وقارن حالة بحال السكان القدامى من الذين ينعمون بكل شيء ويعيشون فى عمارات كبيرة (وفلل) ، مستقلة وأحس بالغبن الشديد ، أنه يسكن فى خيمة تحيط بها الأسلاك الشائكة وتسكن مئات الأسر الملونة القادمة من شتى أنحاء العالم فى مدينة الخيام .

وعندما تساءلوا عن السبب قالوا لهم لا تحزنوا إن كل هذا شيء مؤقت وقريب جداً بل أقرب كثيراً مما تتصورون سيكون لكل واحد منكم مسكن خاص به . وتمر الأيام وينتهى كل أمل فقد أطلعوا على الشيء الكثير أخبرته أنهم يخدعونه ويخدعون مثله آلاف القادمين من شتى أنحاء العالم آلاف المخدوعين

القادمين بعد أن صورت لهم الصهيونية جنة الأحلام التى تعيش فى شوق وتعد نفسها منذ قرون لاستقبالهم ، وتبكى الفتاة ويسألها لماذا تبكين فتقول له بصدق . . إنى أبكى لأنى حزينة من أجلك ومن أجل نفسى فقد خدعونى ، خدعوا والدى وأحضروه من فرنسا وعينوه فى منصب كبير وخدعوه بالأوهام حتى صار واحداً من أكبر المتعصبين لجنسه وتكشفت لى حقائق الحياة هنا . إنها تقوم على ألوان من التعصب والتفرقة فى كل شىء وتساءل الفتى فى دهشة قائلا . . . التعصب والتفرقة ؟ . . هذا ما ظننا أننا سنتخلص منه أليس ذلك ما وعدونا به ...؟ .

وتبكى الفتاة ولا تجيب . .

ويتألم الفتى ولكنه يحاول صنع المستحيل من أجل مستقبله ومستقبل أسرته ويفاجأ بموت والده المسن فقد صرعه الإهمال ، فمنذ وصوله والبرد يفتك به ولم يقدموا له مأوى يقيه عذاب البرد وكذلك كان ما قدموه له من دواء لا يكفيه كما أن الطعام الذى كان بحاجة إليه لم يكن موجوداً على الأطلاق فودع الحياة وتركها غير آسف وبكاه لافون وبكته الفتاة أما الأم المسكينة فكانت حزينة تبكى فى صمت ولا تنطق شفتاها بشىء . . كان

حزنها أكبر من أن تستطيع التعبير عنه بالكلام فارتسمت
لوحه بائسة كلما تطلع إليها لا فون وكلما نظرت إليها الفتاة بكت
القلوب وتجرى الدموع فى مآقيها .

وكان لا بد للافون أن يحصل على عمل . ولم يمهلوه طويلا فقد
استدعوه ليخدم فى الجيش فودع والدته التى عبرت عن حزنها
بالبكاء وتركها وديعة بين يدى الفتاه التى وعدته خيراً .

ومرت الأيام ولا فون يلاقى صنوف الارهاق والتعب
والتدريبات العنيفة وأحس لأول مرة أنهم يعدونه لا للقتال
ولكن للقتل ، أحس أنهم يعدونه ليكون سفاحا لا ليكون
مقاتلا ، أحس أنهم ليسوا شرفاء وأن من يستعد لقتلهم أبرياء ..
لقد سمع عن قصص التعذيب التى وقعت للسكان العرب وأن
أصحاب الأرض الأصليـــين ليسوا اليهود بل هم العرب
وتكشفت له الحقائق المذهلة فقد عرف أن الأراضى العربية
محيطة بالأراضى الإسرائيلية من كل جانب وأن السلاح مصوب
من كل مكان فى اتجاه الأرض اليهودية وشمله هم عظيم وتساءل
أنه أتى إلى إسرائيل وهو على أتم الاستعداد للدفاع عنها ضد
أعدائها ولكنه فوجىء بالحقيقة الماثلة أمامه أن اسرائيل هى

المعتديه ولكن كيف السبيل إلى الحقيقة ؟ . .

وعندما حصل على أجازته الاولى استقبلته والدته بالدموع والقبلات واستقبلته الفتاة بالأحضان ووسط حرارة اللقاء أخبرته بأن والدها سوف يبيعها لواحد من الوزراء الكبار السن نظير مبلغ كبير وأنها ترفض هذه الصفقة وعليه أن يتقدم لوالدها ونفذ رغبتها وقابل الوالد وكانت مقابلة عاصفة فقد ازدراه الرجل ثم قال له بصوت مليء بالسخرية . . .

ـــ أنا أزوج ابنتي لجندى آسيوى حقير ؟ . . أن هذا لن يحدث ابداً . . أنا أوروبى متحضر وانت قادم من آسيا يهودى شرقى . . ونحن فى إسرائيل لا نحب اليهود الشرقيين ، إنهم مثل الزنوج فى امريكا . . إننا لا نحبهم . . هل تسمعنى؟

ولم يجبه الفتى لا فون بل هرب من امامه والدموع تملأ عينيه لقد تجدد الوهم . . تبدد الظلام . . لا امل له فى الحياة فى ارض الميعاد انها ليست ارض الميعاد . . بل ارض النفاق . .

وبينما هو غارق فى احزانه اقبلت الفتاة وقد ظهر على وجهها كل معالم الأسى والحزن كانت تعرف كل شيء ، فقد سمعت ما تفوه به والدها بل ان والدها لم يكتف بما تفوه به فتهجم عليها واقسم انه سيسوقها سوق الشاة قريباً جداً إلى منزل صديقه وانه يترك

لها تقــدير الأمر ، يجب ان تتزوج الوزير العجوز ولها مطلق
الحرية فى إرواء ظمئها من كل شيء ، المهم ان تتم الصفقــة
واذهلتها المفـاجأة . . ان والدها لا يتقيد بأى شيء . . انه
يريد ان يبيعها ولا يـكتفى بذلك بل يهون عليها الأمر ويعطيها
نظير ذلك حرية مطلقة فى ارتـكاب اى شيء واتخـاذ ما تراه
كفيلا بإسـعادها . . وروت كل شيء للافون . . وصـدق
لافون انه لم يسكن يتصور ان ارض الميعاد قد بلغ بها التفكك
والإنهيار إلى هـذه الدرجة كل شيء بالثمن وكل ما سـمعوه كان
مجرد اوهام ، وتطلع إلى وجه الفتاة راشيل كانت تبكى . .

واقترب منها ثم امسك يدها بيديه ونظر إلى وجهها متفرساً
فيه واحس بعاطفة جياشة تدفعه لتقبيلها فقبلها وبللت دموعها
شفتيه وعندما تركها كان قد استقر رايه على الخطة التى سوف
يتبعها وسألها بصوت قوى .

ـــ راشيل . . هل انت معى ؟

ـــ وردت الفتاة بدهشه طبعاً إنى معك .

فقال لها للمرة الثانية :

ـــ وعلى استعداد لـكل شيء حتى الموت ؟

فردت الفتاة بالإيجاب :

فقال لا فون :

إذن سنهرب الليلة . . سنهرب إلى الحياة . . إلى الحرية وسنعبر الحدود إلى غزة وسنحكى لهم كل شيء وسنكشف الأوهام امام كل الناس وسوف يفهمون وسوف يغفرون وسألته الفتاة :

— قد يقتلنا العرب ؟

ورد لا فون قائلا :

— كلا إن العرب لا يقتلون احداً ، لقد قرأت اخيراً بعض الكتب وسمعت الإذاعة العبرية الموجهة من القاهرة واصبحت على ثقة من امرهم بل واصبحت فى شوق لرؤيتهم . . فهل ستأتين معى . . سأتركك الآن وإذا قررت الموافقة فعليك الحضور هنا إننا قريبون من الحدود وسنعبر الاسلاك الشائكة إلى الحرية .

وسألته الفتاة .

— ووالدتك ؟ . .

اجابها لا فون بسرعة من بحث الأمر من شتى نواحيه واتخذ فى ذلك قراراً لا رجعية فيه . والدتى سوف نتركها فى إسرائيل إنها لن تتحمل مشقة الطريق وقد يقتلونها قبل ان نعبر الأسلاك

الشائكة وتقاطعه الفتاة قائلة :

ـــ وقد يقتلونها هنا . .

ويرد الفتى قائلا :

ـــ لقد قررت والدتى الأمر ولا فائدة من مناقشتها ، إنها تفضل أن تفدينا بنفسها حتى لا يشعر بهربنا أحد ،

ودمعت عينا الفتاة ثم قالت بصوت حاولت أن تجعله واضحا يوحى بالثقة والأمل لا تخش شيئا إننى لن أتركك . . سوف تجدنى معك فى كل مكان إننى أريد أن أتنفس فى جو ملىء بالحرية والحياة فأمسك يدها الصغيرة بين يديه وضغط عليها برفق ثم انحنى وقبل شعرها الرائع وهمس فى أذنها قائلا :

ـــ الليلة موعدنا . . وغداً سنبدأ الحياة . . .

عالم من الأوهام

عندما لامست أقدامها أرض الشارع أحست بارتعاشة خفيفة وحاولت السيطرة على نفسها ولكنها لم تستطع ولاحظ هو مايبدو عليها فوضع يده فى ذراعها ثم سار بها نحو المنزل وعندما أطمأن عليها عاد الى العربة وسألته زوجته . . هل هى بخير ؟ كان فكره مشغولا لم يرد على الفور وكررت السؤال فقال والسيارة تندفع الى الأمام نعم هى بخيرا وهذا ماأعتقده .

أما هى فلم تكن سعيدة أبداً . . . وجدت نفسها تسرع الى حجرتها ثم تضىء كل الانوار وتتطلع بدهشه الى صورتها فى المرآة . . ووجدت عيناها تغروقان بالدموع ثم ودون أن تدرى وجدت أصابعها تضغط على ملامحها وتتحسسها فى عنفه هل هذه هى الحقيقة . . . ؟ أين أنا ؟ من هذه ؟ . .. انى لاأعرفها .. لاأعترف بها ؟ لست هذه .. ثم أسرعت الى صوان ملابسها وأخرجت صورة من مجموعاتها .. وانفرجت اساريرها عن ابتسامة . . أنا هذه أما تلك التى رأيتها فى المرآة فليس لى بها علاقة . . انى لااعرفها .. واسرعت نحو المرآة ولصقت الصورة بجوار خيالها المطبوع امامها على صفحة المراة . . ثم

وجدت نفسها تجهش بالبكاء أسرعت الى فراشها وألقت بجسدها المنهك فوقه ولم يدهشها أن تراه . . كان بشبابه أمل كثير من فتيات الحى ولما تقدم لها رفضته . . انها تذكر كل شيء كانت تميل اليه كان يعجبها ولكنه لم يكن يملك العربة ولا الفيلا .. كان شابا عاديا فى مقتبل العمر لايملك سوى شبابه .. أما هى فكانت طموحة جدا .. لم يكن يهمها قلبها .. كانت قادرة على سحقه .. انها تذكر كل شيء .. سحقت قلبها .. كانت قاسية وتذكرته وهو خارج من منزلها والحزن يكاد يقتله .. كان يحبها فقد كان زميل دراستها وابن حيها . منذ سنوات طويلة وهى تعرفه وتعرف كل شيء عنه وعن أسرته ثم اختفى من حياتها هاجر الى الخارج ليعمل ونسيته فى زحمة الاحداث التى شغلتها ولم يكن سامى أول من رفضته ولا آخرهم .. انها تتذكر كل شيء .. تذكر كل من تقدموا لها كانت تردهم بقسوة .. لم تكن تحس بما تفعله .. كانت جميلة واثقة من نفسها وكانت لها أحلامها .

وتساءلت فى ذهول ماالذى كانت تريده .. وتذكرت كانت تقارن نفسها باقاربها .. بصديقاتها .. كانت تريد فجأة أن تملك كل شيء .. الزوج والعربة والفيلا والمنصب الخطير ..

كانت تريد أن تقفز الى كل ذلك قفزا . . . . لم تكن مثلا تفكر كيف أصبحت سميرة صديقتها تملك العربة والفيلا والزوج صاحب المنصب الخطير . . . لم تكن تعرف أنها بدأت معه من نقطة الصفر وأنها شاركته كفاحه وكونت ثروته بعرقها الذى اتحد بعرقه وصنع كفاحه .

لم تجد سميرة نفسها فجأة صاحبة مستوى رفيع بدأت من لاشىء وقبل أن تعرفها ولما عرفتها كانت فوق القمة . . وهى لم تعرف بل ولم تحاول أن تعرف لماذا وكيف أصبحت صديقاتها وأقاربها فى هذا المستوى وصممت على أن تطالب القمة وأن تصم آذانها عن كل نداء وكادت تجن لانه لم يطرق بابها سوى أناس عاد يبين لهم طموح ولهم امال لهم الحياة ولكن لم تكن لهم الثروة . . . وهى قد أصبحت عدة لذلك المظهر البراق وضحت بمن كانت تميل اليه وأغلقت قلبها على حبها ولم تعترف به حتى لنفسها أما اليوم واليوم فقط وعندما رأته يملك العربة والزوجة والأولاد أحست بضربة تهز أعماقها وجدت نفسها فجأة تتذكر كل شىء . . . تتذكر حبها ورفضها له وهجرته وانقطاع اخباره ثم كان اللقاء فى حفل الزواج الذى دعيت اليه وعرفته ولدهشتها ولألمها لم يعرفها هو . . . واقتربت منه وعرفته بنفسها وتذكرها

ثم قدمها لزوجته وهو يقول لها بصوت عادى . . نانى . . أقدم لك . . ثم لم يتذكر وعرفت هى سر حرجه فابتسمت وهى تقول : الآنسة . . . ليلى . . . وقال هو وابتسامة خجول ترتسم على وجهه . . . آسف . . . الآنسة ليلى صديق قديم . . غريب أن لاأتذكر اسمها . . كانت أجمل زهرة فى الحى . . ومادت الارض من تحت أقدامها . . كانت انطمست معالم الحياة أمامها . . كانت . . هل تغيرت الى هذا الحد ؟ لم تشعر بالزغاريد ولا بالناس . . أحست بأنها فى حاجة لأن تفر من الحفل . . . لم يعد لها وجود . . . ولاحظ هو كل شىء وتابعها بقلب حزين . . . لاريب أنها تتألم . . . كيف غاب عنه اسمها . . . ثم هل جرحها وهو يقول كانت . . مسكينة . من يصدق أنها ليلى بكل جبروتها . بكل قسوتها واحس بخوف مجهول من اجلها .. لقد ظلت آنسة .. انها عنيده لم تجد فتى الاحلام .. حاربت كل شىء حتى نفسها وتعلقت بأوهام . بخيالات وسرقها الزمن ذلك الجبار الذى نرك بصماته على وجهها وكيانها كله .. لم يكن يعتقد انه سيشفق عليها فى يوم من الايام وهى التى طعنته طعنة نافذه لم يشفه منها هجرته لبلده .. لقد بعث الماضى من رقاده عملاقا جبارا وهو الذى نسيها حتى انه لم يعرفها فى

البداية .. صورتها محفورة فى قلبة .. صورتها فى ذلك الزمن البعيد وحبة لتلك المخلوقة القاسية .. اما هذه فلها عطفة .. اين هى واسرع نحوها واخذها معه فى عربتة ....

نعم انها تذكر كل شيء تذكر ماضيها وحاضرها .. تذكر الواقع الذى وجدت نفسها فجاة اسيرة له .

انها تعرف كل شيء الآن .. كانت فى الماضى تتغابى وتتعامل مع احدث مبتكرات التجميل وتتناسى وتحاول .. ولكن كلمتة كانت ضربة قاضيه لقد تهاوت أو هامها .. تبددت أحلامها .. عرفتها موقفها تماما .. فأحست بوحدتها .. وسالت دموعها من جديد .. دموع حقيقيه .. لا زيف فيها .. لقد فاتها القطار .. سحقها الزمن القاسى .. فاتها الامل .. صرعتها الاوهام ....،،،

الأشجار تموت

سيدى . . . لا داعى لأن أقدم لك نفسى ، أنا واحد من هؤلاء الذين تسمونهم بعبدة الحقيقة أنا أبحث عن حقيقة الوجود . . . حقيقة نفسى . . . حقيقة الناس . . وحكايتى طويلة ، لقد بحثت وقرأت كتب السلف الصالح والطالح . . وزرت مقابر الأولياء وتكايا النتابلة وتعرفت على أراجوزات وقطاع طرق وعاهرات . . . ألم أقل لك أننى أبحث عن حقيقة شىء . . أى شىء . . زرت أماكن كثيرة . . صوامع وكنائس وأديرة وتكايا ، لم أترك مكاناً يدعى اى إنسان انه شىء غامض او مميز إلا وزرته . . . حاولت أن اقابل كائناً عاقلا مفكراً يرشدنى . . يدانى . . ولكننى وجدت كل المخلوقات بائسة وتعيسة تبحث عن نفسها ولا تجد سوى سراب . . دنيا غريبة . . قالوا إننى فيلسوف او عقل كبير ثم قالوا إننى مجنون . . هل انا مجنون . . ؟ انا نفسى لا اعرف ذلك ، المهم زرت اماكن بعيدة وقريبة ، زرت العلماء والفلاسفة ، زرت المقابر والمستشفيات ولم اجد شيئا يستحق الوقوف امامه . . . . . إعتبرت ذلك قصوراً منى واعتبرت اننى لا بد ان استمر فى

الدراسة والقراءة والإطلاع ، ذهبت إلى معبد الفكر ووسط
اكداس من الكتب والمراجع ظللت اجوس وابحث واطلع
اياما طويلة حتى وهن جسدى وجف عودى وطالت لحيتى
وكنت لا ا ير المخلوقات اى التفات ، لم يكن يهمنى تعليقاتهم
او نظراتهم او همساتهم او نطقهم الساخر الذى يشير إلى بكلمة
مجنون . . يا لهم من مساكين . . لو كنت مجنونا لما بحثت
عن الحقيقة ، لاقتنعت بحقيقة ما اعيشه ، واقتنعت بهم هم . .
بهذه المخلوقات البائسة التى تسوقها اقدار ظالمة إلى سجن ابدى .
مساكين . . إننى ابحث لهم عن الخلاص .. خلاص نفوسهم . .
خلاص ارواحهم . . ولكن ماذا ارى ؟ اراهم يتهمونى
بالجنون وانا ماذا اريد . . اريد ان ابحث لهم عن حل لمأساة
وجودهم إنهم مساكين . . المهم نظرت يوما إلى المرآة وجدت
شخصاً لا اعرفه . . جسد هزيل ولحية كثة رهيبة ، وعيون
صفراء زائغة وشعر مهوش وملابس بالية ، وبمعادلة بسيطة
عندما تجمع كل هذه الأشياء تدلك على شخصى الضعيف انا
المدعو لا شيء نعم انا لا شيء . . بدليل هذه الأشياء التى لا
معنى لها وبدليل هذه النظرات البائسة وبدليل اننى عندما كنت
فى زيارة معبد الفكر وتجاذبت اطراف الحديث مع مخلوق فى

بداية حياته التعسة كان شيئا مضحكا . . يضحك ويغمز بعينيه لمخلوقه يطلقون عليها فى عالمهم الخاص وصف جميلة . . مخلوقة مزججة الحواجب ترتدى زيا برقا افخاذها بضة عارية ،ووجهها بيضاوى وعيونها عسلية . . كان المخلوق يشرب الشجاعة من عيونها ويلتفت إلى ثم مستمدا الشجاعة منها لمحاولة معاكستى واردت ان استمر فى دراستى لهذا الكون . . حاورته وضحكت له وسألنى المخلوق :

— انت يا مولانا . . لماذا انت هنا ؟

— ابحث عن حقيقة الكون حقيقة العالم الذى تعيش فيه يا مسكين .

— مسكين ؟ . . ومن قال لك اننى مسكين ؟ الا تعرف من انا ؟

— مسكين ايها المخلوق . . انت مسكين لا تغرنك حياتك القاسية ولا حقيقة وجودك الذى يساوى العدم انت غير موجود يا مخلوق . . انت لست هنا .

ضحك المخلوك وضحكت المخلوقة وقال الإثنان فى وقت واحد : —

— — يا خبر نحن ليس لنا وجود ؟

ـــ نعم ليس لـكم وجود .. انتم لا شيء . . تعيشون في لا شيء إلى ان تأتى لحظة حاسمة فيصبح اللاشيء عدما ويصبح العدم هو كل شيء ..

قالت المخلوقة :

ـــ يا خبر ؟. دا بيخرف خالص ؟!

وقال المخلوق :

ـــ دا حالته تعبانة خالص .. !

وقلت أنا محاولا ان اشرح لها شيئا مما يدور بخلدى :

ايها البائسان .. انا وانتم وكل موجود لا شيء .. بالله عليكم كيف اكون موجوداً وانا اعرف سبع لغات وسبع مهنات واعرف كثير من الحقائق ثم اظل ابحث عن عمل لمدة إحدى عشر عاما ولا اجدة . . . الحقيقة وجدت عملا وجدته عند صاحب عمارة كبيرة .. اعطانى الرجل وظيفة متواضعة كما قال . . عينى بواباً لعمارته الهائلة ولكنه طالبنى بمسوغات التعيين ولم يكن لدى هذه المسوغات . . اردت ان اعمل بلا مسوغات تعيين ولكنه رفض وقال بإصرار :

لا بد ان تكون لك هوية واوراق وانا كما ولدتنى امى ليس لى هوية ولا اوراق ، ولكن احب هذا المكان . .

احبكم . . احب هذه المخلوقات التعسة وهذا سبب بحثى عن الحقيقة . . استمع المخلوق فى صمت وتشاغلت المخلوقة بشعرها ثم غرق الإثنان فى صفحات كتاب ، وحانت منى التفاتة — دون قصد والله — كانت ساق المخلوق تداعب ساق المخلوقة فى سعادة وضحكت . . ربما لأول مرة منذ سنوات مساكين مخدر لذيذ لكى يستعدوا للمقصلة . . النهاية قريبة . . العمر لا شىء . . الواقع غير موجود . . نحن وهم وهن وكل موجود غير موجود . . ثم ماذا ؟ ووجدتنى أمد يدى إلى جيبى واخرج قطة من السكارتشوك واخذت املأ الزنبرك وتحركت القطة فوق المائدة . . قطة ساخرة عيونها خضراء . . ونظر المخلوق نحوى بدهشة ثم غمز للمخلوقة وضج الإثنان بالضحك . . وابتسمت لها وظللت انظر للقطة . . إنها مثلها تماما تؤدى دوراً معيناً فلماذا يضحكان منها . . هل هما يختلفان عنها . . مساكين إنهم لا يعرفون شيئا . . إنهم سكارى لا يفهمون ، ولكن انا . . هل فهمت . . . . . إننى احاول . . حقاً لقد إنسلخت عن واقعى ولكن لم اشعر بالراحة بل شعرت بالضياع ، ان البحث مضنى والواقع اليم والمأساة عميقة الجذور ولكن ما العمل . . . . لكل مجتهد نصيب ، ساظل ابحث

عن الحقيقه . وحملت القط الذهبي ووضعته فى مكانة الامين ثم انشغلت باسترجاع معلوماتى . . هذا المخلوق ومخلوقته الساذجة لا يشبهان فى شيء مخلوق اخر قابلته مصادفه . . كان هنا . . واندمجنا . حدثته وفهمنى ثم أخرج من جيبه عشرة قروش وقال : . هذه العشرة قروش عملة صعبة . . ليه؟ لانها غير موجودة . . طبعا لأنى متاكد اننا بالنهار . . لية ؟ لاننالابسين ملابسنا . . لكن بالليل بنكون لابسين حاجات تانية طبعا أمال ولد ذكى ولكن للاسف سمعت مخلوقات تهمس بانة مجنون تذكرتة الآن ولم يكن مجنونا انة فيلسوف يبحث عن شيء . . انة زميل . . حقا هو فى بداية السلم ولكن قد يصل الى شيء . . بل قد يكمل رسالتى التى لم اعد أراه فى معبد الفكر . . قد يكون . . قد تراجع سيكون ذلك خسارة فادحة . . المهم المخلوق يداعب مخلوقته يقرصهافى فخذهاالبض . . ثم يدمسان عيونهما فى الكتاب . . مساكين مخدرون ، قد ياتى يوم يعرفون الحقيقة وقد يسمعان مخلوقا أخر يقول مجانين . . كلا . . لا يوجد مجانين المجانين عقلاء لانهم وصلوا الى حل مع انفسهم ومع الناس اختاروا اشياء ولكنى لست مثلهم لانى لم اختر حتى هذه

اللحظة ولكن من يدرى ربما اختار شيئا فقد سئمت البحث
عن الحقيقه .. انها غير موجودة .. انها عبث .... انها
مضيعة للوقت .. انى سارحل الى بعيد الى حيث لا تشرق
شمس الى حيث لا توجد مخلوقات بائسة وداعا يا معبد الفكر
وداعا ايها المخلوق وأنت ايتها الساذجة .. وداعا .....»

حلم رجل متزوج

الحياة لاتطاق . . الملل شىء رهيب . . لاأطيق نفسى . لاأطيق أحداً . . كل شىء مزيف . . الواقع سجن . . البيت الاجبرى . . الأولاد . . . . الزوجة . . القيد الابدى . . رحماك ياربى . . لماذا كتب على هذا الشقاء . . أنا شقى . . انا سجين . . أنا اسير . . أقسم أننى أحس بالأسر . . القيود تحطمنى . . الملل يتسرب الى نفسى فيضيق له صدرى . . لاأطيق البيت . . قصر الأحلام . . لاأريد شيئا . . الرتابة . . الألفاظ المعادة . . حمادة تعبان . . ليلى تبكى . . سكت الواد النونو مرضعة انا ؟ . . خد بالك من الأولاد أنا رايحة الكوافير . . الست حرمنا المصون . . الدكتاتورة الأزلية . . زوجتى بنت مصر التى شدتنى اليها بقيود فولاذية . . الأولاد سلاحها السرى حتى لاأهرب . . جاء الأولاد وتطالب بالمزيد . . أين حريتى أنا سجين . . أسير زوجتى . . الملل يقتلنى . . سأهرب سأهرب أريد أن أجرب حظى . زملائى يحكون عن المغامرات العاطفية الساخنة والباردة عن الجو . . لابد وأن يكون لى جو . . است اقل من الواد روميو اللى عندى فى الادارة . . واد تعبان ورغم

ذلك كل يوم وجـــه جديد . . فتاة او امراة . . لا يملك
ماامـلكه . . املك الشبـاب والمـادة . . والسيارة . . وما
ادراك ماالسياره . . مصيدة بنات حواء . . بيقولوا كدا . .
كل شيء بالثمن . . ولـكن هل مايملكه سي روميو امـلكه انا ؟
انا لست خبيرا فى هذه الامور ولـكن الملل . . الصداع يكاد
يحطم راسى . . صراخ امراتى يجننى . . تقول بصوتها المسرسع
اسامة بالله عليك اسرع . . حمادة بيبكى . . شريف عاوز ايه ؟

ياخبر انا باشتغل صربية على آخر زمن ؟ قاتل الله الغرور هذه
المراه اشتريتى لم يعد فيها مايثيرنى . . انها لاشيء ام اولادى
طظ . . أريد أن ، أجدد شبابى . . أن أقتل الملل . .أين عربتى
الهواء جميل . . منعش . . أنى اسير بسرعة صاروخية. .ماهكذا
يستطيع الانسان ان يوقع فتاة فى شباكه . . الى طريق الهرم
يااسامة انفـد بجلدك . . هنـاك ستجد نصيبك . . الهـرم ملىء
بالفاتنات شارع كبير .. فلل عمارات حسناوات ملاهى .. نعم
ملهى لابد ان اقضى سهرة ممتعة لـكى انسى . . انسى حرمنا . .
حرمنا المصون والـكوافير . . لماذا الـكوافير فى هـذا اليـوم
بالذات ؟ . . انها تريد ان تقضى على اوه لماذا! اتذكرها ؟ . .
سأقضى ليله بين احضان الطاس والـكاس وفتاة عاقلة مثيرة . .

أوه الأوبرج ملىء بفتيات ـــ استربتز ـــ اجنبيات . شقراوات مغريات يحددن شبابى اريد ان اغير مناظر . . سحقا لهـــا انها تثيرنى ذكراها تقتانى هى واولادها هى وعساكرها نعم واولادها هم رجال البوليس والشرطة فى خدمة الشعب . . فى خدمتها اوه لماذا اعود ثانية الى ذكرها أنى لااستطيع ان انسى وجودها الم اقل الك انى اسيرها نعم انا اسير ولكن سأحطم الامر سأحرر نفسى من السجن سأحلق فى الفضاء ساهرب منها ومن جبروتها هذه الفتاة التى اراها تنظر الى بدلال نعم الفتاة جميلة ولكنها تشبه زوجتى لا لا الى الاوبرج .

اوه الهدوء رائع الموسيقى ناعمة الجو جميل فاتن عطر رائع جميلات من باريس ولندن فتيات رائعات متحررات لماذا يرجف جسدى انها تجربة رائعة لابد ان اخوضها نعم انها تجربتى الاولى ولكننى ساخوضها سأخوضها لن ارتجف بعد الآن الفتاه تعرف انى خام انا مرتبك نعم مرتبك لو اننى فى البيت أنا قوى قوى اوه سأعود إلى تذكر امراتى آه الفتاه تضحك تسخر منى زميلاتها يسرعن اليها يضحكن انا ارتجف لاعرف كيف اشرب ؟ الخمر معتقة مرة انا ارتجف ساهرب الى سيارتى الى الشارع الواسع اوه العربة تسير بسرعة مذهلة قد تحدث كارثة اسامة استيقظ يا حبيبى

أسامة اعقل يابنى .. أوه الهدؤ يعود الى .. انا خام رغم
الزواج والاولاد .. أقسم لابد أن تكون لى مغامرة رهيبة ..
سأسير فى الشوارع .. سافتح باب العربة لأى فتاة .. أى
فتاة .. أى واحده تستجيب .. لى لن أعود الى المنزل ..
الليلة ساقضيها فى اى مكان .. الفنادق كشبرة الشقق المفروشة
جاهزه .. اى مكان بعيدا عن البيت بل بعيدا عن الشارع
الذى فيه البيت .. بل والحى الذى فية الشارع .. انا حر
وخام بعد هذا العمر الطويل .. خام قد يضحك منى ابنى حمادة
لوراى ارتباكى مع البنت الشقراء .. لابد ان تكون فتاتى الليلة
شقراء .. مغامرتى الليلة مع شقراء .. انا نسيت نفسى ..
انا وعربتى فى شوارع الدقى .. كيف وصلت الى هنا .. ؟
حسناء رائعة تبتسم .. تقف فى دلال .. اشارة المرور تضىء
النور الاحمر .. رائع .. شعر الفتاة سبيكة ذهبية جسم ملىء
رائعه .. اكثر من رائعة نعم سازحف الى قربها نعم سازحف
بعربتى الرشيقة .. قد اصطدم بعربة غيرى لا انا ماهر فى
القيادة .. لابد ان اقف بجوارها .. ساقول لها — تفضلى
ياهانم ساوصلك — نعم .. المراة سعيدة تبتسم فى دلال ملامحها

تتضح لى شيئا فشيئاً . . حلوة جداً أصبحت قريبا منها الاشارة ما زالت مغلقة . . ليتها تظل مغلقة إلى الأبد حتى أتم مهمتى بنجاح — اتفضلى يا هانم — الطريق اليها أصبح مفتوحا . . مفروشا بالابتسامات سأغزوها بنظره فابتسامة . . أنا أرتجف العرق البارد يبلل وجهى يا الهى .. إنها تضحك لى المرأة جريئة جداً احمر وجهى خجلا . . أدرت وجهى تشجع يا أسامة . . مغامرة أولى ولكن ستصبح دون جوان المرأة تقول — بنسوار — يا خبر . . الصوت . . أعرفه إنها امرأتى يا خبر امرأتى أصبحت شقراء .. أصبحت مثيرة .. الكوافير ؟؟ أنا تعس الحظ لم أنعم بحريتى . . لقد نسيت فى زحمة اضطرابى أننى أقف أمام الكوافير الخاص بها . . سعادتها تقول فى دلال مضحك — متشكره يا أسامة — جيت فى وقتك تمام . . كنت فاكرة إنك حتنسى تفوت على . . كنت خارج زعــلان . . فيك الخير على البيت يا حبيبى زمان الأولاد ناموا . . الشغالة لعبية على البيت يا حبيبى . . ايه رأيك فى . . ؟ الأولاد يا حبيبى أوه . . بسرعة يا أسامة . . بسرعة يا سى أسامة . . حاضر يا ستى . . حاضر أنا رايح معاكى إلى المعتقل يا حب إلى البيت يا حبيبتى .

التـــابوت

أهلا بك ياسارق الأحزان .. مرحبا بك ياطائر الاشواق . . أين كنت ونحن نبحث عنك وكأننا لم نرك منذ دهور ودهور .. نحن فى حيرة من أمرنا . . نحن لا ندرى ما الذى نستطيع أن نفعلة . . أننا فى مأزق . . نحن جميعا نبحث عن الحقيقة التى ضاعت منا وسط بحار الظلمات وكنا نتساءل اين طائر الاشواق .. أين النجم الهادى . . أين الحبيب الغائب . أين مخلصنا . . . أين المنقذ الذى سوف يعيد الى حياتنا معناها والى واقعنا حلاوته والى الماضى قدسيته .

صرنا نضرب فى جنبات الارض ونبعث الرسل فى كل مكان ونطلق صيحات النجدة وندق طبول الاهوال علك تستجيب لنا أو تمر بنا او تحس بنكبتنا ولكنك كنت غائبا عنا كنت بعيدا عنا بقلبك وروحك . . ضعت مناوسط زحام الحياة وانتظرنا لعلنا نصل الى شىء أو أشياء الى واقع او وقائع .. أين كنت ياحامى حمى الفضيلة ياصديق الاصدقاء وحامى حمى الشجعان .. أين انت اننا بكينا حتى بكت معنا السماء وصرخنا حتى تجاوبت معنا وحوش الغاب ..هلم الى قدس الاقداس .. الى حرم الحب

والفضيلة . . الى معبدالانسان هناك ستلتقى بالاحباء من الشيوخ
والشبان . . انهم تعساء . . فقد وا عزيزا كفنتة الاقدارو القت
به فى زوايا النسيان . . فى مملكة الموتى وهو من الاحياء . .
حى ولكنه ميت . . حر ولكنه مقيد لا يستطيع خلاصا ولا
يستطيع فكاكا الا على يد طائر الاشواق حامى حمى الصدق وعدو
الظلام الذى لم تعرف الخديعة طريقها الى قلبه الذى ما فية كلة
ضياء . . الملاك الانسان الذى لم يعش لنفسه قط . . الذى ،
يعيش والى الابد لغيره . . غير نادم أو باك . . غير شاك ولا
معذب . . هلم الى وادى الموت لتنقذ زهرة العشاق . . لقد
لعب برأسها الجان وسلبتها الشياطين كل ما يربطها بالحياة . .
لقد دنسوا كل شىء حتى افكارها سحقوها تحت الاقدام وفى ليلة
غبراء ودعت الاحياء ودعت الاهل والخلان وذهبت الى وادى
الهلاك واستسلمت لصناع الشر . . لعبدة الاصنام . . لآكلة لحوم
البشر . . وقيدوها بأغلال من حرير ولكنها قاسية باردة
كالزمهرير غاصت فى اعماق لحمها وحطمت ضلوعها ولكنها لم
تستطع صراخا استسلمت لهم فى لذة . . كان العذاب بالنسبة
لها مخدرا سار فى الدماء وعاش فى الاعماق سلمت لهم نفسها

وروحها وقيدوها بالاغلال . . حلقوا بروحها فى عالم الشر حتى تكرس نفسها للواقع الجديد الذى أسروها بين جدرانه .

يا لتعاسة الانسان الذى اسلم نفسة وقدره للشر وهو كالمخدر . . سلبوه كل شىء حتى مقدرتة على معرفة الحق من الباطل والخير من الشر . . يا شقاء الانسان الذى يسرع الخطى الى وادى الاهوال وهو يبحث عن الحياة فيجد الموت . . يبحث عن الفضيلة فيجد الرذيلة . . زين له ذلك شيطان ما كر فى ثوب انسان خدعة مظهره البرق وابتسامتة المشرقة وحديثة العذب فهام بة حباً وتسلق الصعاب ليلقى بنفسة بكيانة فى احضان الموت يا طائر الاشواق . . هلم الى المعبد لتتطهر بالماء المقدس . . لتحمل حربة الحياة المقدسة وتدفع بها خلاصها الى جنات التابوت لتطلق سراح زهرة الاشواق لتنقذها من براثن الاشقياء . . انها تعيسة ولكنها مستسلمة تبحث عن الحقيقة ولكنها تستسلم للشر . هلم الى المعبد لندق معا طبول الحقيقة ليدوى الصدق فى كل مكان لنقذ الحياة لنقتل الشر . . وحذار حذار من جن اسود قد يكون قريبا من التابوت سوف يحتضنها ودون ان تدرى سوف تدب فيها روح الشر ويطرد الشر الخير . . حذار . . حذار . . لو تم هذا لضاع كل شىء ولتعذبت الى ابد الآبدين

.. حذار حذار . . وهلم معنا الى المعبد لتتطهر . . الطبول تدق والجميع فى الانتظار ... ان كل شىء فى انتظارك الجميع يشيرون اليك .. ها هو المنقذ الانسان هلم تقدم الصفوف والق بنفسك فى احضان الماء المقدس .. شكرا لك . لم يعد سوى أن تأخذ الحربة المقدسة . . انها فى يد كبير الكهنة .. انه يبتسم ويسلمها لك .. تسلمها بقلبك . . قلبك الخالص واقبض عليها باسم الحب واسرع بها الى اعمق الاعماق .. الى مدينة الهلاك .. الى وادى الشر لتطارد وحوش الظلام .

انا معك بكل قلوبنا ان جميع الشرفاء يدعون لك بالنصر يتابعون خطاك خطاك الواثقة وانت تسير فى وادى العدم سحقا للشراسة متربص بك وبنا فى كل مكان .. هل هذه هى الحياة .. ؟ شىء ولا شىء .. وجود ولا وجود .. رباه ماذا نسمع .. هل حقا نسمع كل شىء .. اين نحن من هذا الواقع .. اين الصدق بل اين الوجود .. اين الوجود ياربا‌ه ..

تقدم رغم الظلام رغم الاشرار رغم العيون الحمراء التى ترمقك فى غضب وتحاصرك فى تجنى .. رغم الاشواق .. رغم الهمسات .. رغم الضحكات . . رغم الدموع .. دموع الخائفين والمشفقين . . هلم الى وادى الهلاك . . اقترب فى حذر يا

طائر الاشواق : . ارفع الغطاء عن زهرة الحياة . . اطعن التابوت بحربتك المقدسة . . اضرب . . اضرب فى صدق . . لقد تجمعت قوتك الهرقلية فى ضرب التابوت . . الملاك يخرج هيمانا من القبر المغلق . . ابتسامة الفوز على شفتيه . . دموع الفرح فى عينيه يحاول أن يطير بجناحين من بلور . حذار حذار . . الجنى الاسود يرمقك طائر النحس يتحفز للانقضاض ان شيطان الشر يتابعك لقد انقض عليك وهم بها . . احتضنها . . لقد دنسها الشر فهوت أسيره بين يدى الشيطان . لن تستطيع أن تنقذها . . انها تهبط الى قرار سحيق . . الى وادى العدم . . لن تنقذها ولو ظللت تحاول الف عام . .

وأنت لقد نفذت الطعنة بين ضلوعك . . لقد تمكن منك الشيطان الاسود . . . لحقها قبل أن تقبلها قبلة الخلاص فعاد بها الى التابوت والى الابد ثم طعنك طعنة نجلاء ستظل تدمى حتى وأنت فى القبر حتى لو عمرت الف عام ياطائر الاشواق . . . هل تعتذر لك . . ؟ هل نبكى معك . . هل كنا نريد بك شرا . ؟ . هل أنت شر . . كلا واسم الحق أنت خير وكنا نبغى خيرا ولكن المجبول الاسود . . قدر الانسان المعذب أرسل الشيطان

سيره بخطوات من نار نحو الوادى فانتزع الحياة وطعن الاشواق فوداعا وداعا ياطائر الاشواق يامن ناضلت فى أشرف معركة يامن أردت أن تحرر الانسان . . يامن ستظل أسيرا للذكرى والى الأبد . . الى أبد الآبدين . . . .

وداعـــا . . . .

عائد من الميدان

فجأه وجد نفسة مدنيا بعد حياة عسكرية حافلةو بعد سنوات من العيش فى المعسكرات والاوامر وبعد ان كان يقود فصيلة من الجنود وجدنفسة فردا وحيدا وسط آلاف الناس . واحس بغربة هائله أحس انة غريب .. وفى معاملاتة مع النا س حاول أن ، يكون طبيعيا ولكنه وجد نفسه مترددا ومشغولا باستمرار يسائل نفسه ... إذا كان هذا حالى وحدى و انا مازلت فى الاجازة كيف سيكون الحال عندماأعود الىوظيفتى المدنية التى لااعرف عنها شيئا . أننى لم اعمل من قبل فقد دخلت الجيش فور التعيين وخدمت سبع سنوات والجو لاشك سيكون جديدا ... الافكار تطحنه وابتسامة زوجته الحانية تخفف من افكارة ولكنه يتسائل كيف ساعيش وسط هؤلاء المدنيين ؟ وكيف سأتعامل معهم ؟ ولم يطل تساؤله كثيرا فقد انتهت الاجازة بسرعة ووجد نفسه ذات صباح متوجها نحو المصلحة وسط آلاف من العاملين وتقدم فى حذر وهو متردد وسال عن الادارة التى سيعمل بها ودلوه عليها ..

وقدم نفسة إلى المسؤل وبعد التحيات والتمنيات أخبره

الاستاذ حمزه وكيل الادارة أن الرئيس فى أجازه واعطاه
فكره عنه وعن جديته وعن حبه للموظف الشغال وأفهمه انه
لايكره سوى كلمة لا ..لا يحب الاعتراض . . اى اعتراض . .
عرفه الاستاذ حمزه ببقيه الزملاء الذين سيعمل معهم وأطمأنت
نفس محسن لواحد منهم أحس كأنه يعرفة منذ زمن بعيد التقيا
على التفاهم والموده ثم بقية الزملاء ولفت نظره واحد منهم
ذكره بشاويشيه الجيش . . . جسم ضخم وكرش يحسد
عليه وصوت متهدج ينقر سمع المستمع كأنه نقيق الضفادع
وذقن منحدر نحو صدره كأنه مصارع فقد عرش المصارعة بعد
أن حطمته يد لاعب ماهر صورة مخيفة وخاصة عيونة التى
تطل فى دهاء من وراء زجاج النظارة التى تتوقع فوق ارنبة
أنفة وتهتز مع تنفسة وحركات وجهة الذى لايستقر على حال
قدم نفسه فقال بصوتة المسرسع :
ـــ أنا الاستاذ ظاظا ، وابتسم إبتسامة شاحبة ثم قال :
اسمى كدا ودا مش عيب دى عيله كبيرة عيلة ظاظا الله يرحمه
جدى كان اقطاعى ومتين وسماه الناس ظاظا وتوارثنا نحن
هذا الاسم المشرف جيلا بعد جيل أبا عن جد .المهم انا بعد
الاستاذ حمزة وكيل المدير وعلى فكره سيبك من سى حمزه داحتة

سفروت لا هنا ولا هناك ما نتغرش . . بكرة تعرف كل حاجة المهم خد بالك من المدير دا راجل جد خالص مافيش حاجة اسمها لا أو بس خليك معايا وحتكون دراعى اليمين سيبك من طريقة زميلك الجديد اللى اسمه سعيد دا طالع فيها فاكر نفسه سفير فوق العادة أنا شايف كدا إنكم حتبقوا زى أصحاب . خد بالك

واستمع محسن فى ذهول وانقبضت نفسه ولكنه تجاهل أحاسيسه وحاول أن ، يتجاوب معه ومع العمل الذى حوله له وتكرر المشهد كل صباح . . عندما يأتى ويشرب الشاى يناديه قائلا .

ــ أستاذ محسن خد الملف دا والأوراق دى والظروف دا والسكروت دى واعمل كذا وكذا وبعد ما تخلصهم والنبى تيجى جنبى شوية أحسن ورانا شغل كثير . . كثير قوى أنت راد شغال

ويقوم محسن بالعمل ويحس أن ساقيه تدير طاحونة تسحق أحجاراً لا تنتهى طوال اليوم يعمل ويعمل وظاظا ينظر نحوه فى سعادة وتحفز ما أن يرى أن ما بيده قد انتهى منه حتى يبعث له بالمزيد شغل شغل وظاظا لا يرحم وعندما يلاحظ ظاظا أن زميلهم سعيد يبتسم ابتسامة ذات معنى يكشر عن أنيابه ويصرخ فى سعادة قائلا :

دى عيال بتساعة شغل . . مش سفرا ولا وزراء دا نوع جديد حيفرح به سعادة المدير . . .

وفى البداية كان شعور محسن مزيجا من العمل وعدم الرغبة فى الحديث انه يعمل بطبيعته العسكرية وينتظر دقائق ليلتقط أنفاسه ثم يعود الى العمل يعمل وكأنه فى الميدان يسابق الزمن حاضر يافندم أمرك يافندم . . تطن فى اذنه دائما وهو يعمل ينسى كل شىء ويحس أنه فى الميدان . . لا توقف العمل أولا ثم التظلم وسارت الامور وسط هذه المتاعب ارهاق وابتسامات من ظالط

وذات يوم استدعاه الاستاذ ظالط وأخذ فى اسداء الشكر له على مجهوداته التى لاتنكر وعلى ثقته التى وضعها فيه وعن حسن التعامل كل هذا ومحسن يقول لنفسه اللهم اجعله خير سى ظالط دا لازم عاوز حاجه ، وفعلا اكمل سى ظالط قائلا :

أرجوك يامحسن بيه أنا عاوزك بعدالظهر شوية شغل تعملهم بدالى لأنى مشغول ، عندى عيال ومشاغل الحياة كثيرة كثيرة قوى ربنا مع المتجوز .. وتساءل محسن بدهشة :

— بعد الظهر ؟ هو فيه شغل بعد الظهر ؟

ورد ظالط بابتسامته الخبيثة ومن بين أنيابه وبعد ان فرش

إبتسامته حتى بانت نواجذه وتحركت النظارة يمينا وشمالا ثم استقرت على أرنبة الأنف .. ثم خرجت الكلمات .

لك حق ياأبو المحاسن أصل الموضوع دا عمل متأخر عليه وانا بعد الظهر ورايا أعمال تانية ... علشان خاطرى .. انا حاكتب عنك تقرير هايل ..

وسكت محسن غلبته طبيعتة العسكرية وهز رأسة باستسلام ثم قال :

أمرك ساحضر وسانهى أعمالك المتأخرة . . . اللهم طولك ياروح .

وربت ظاظ على ظهرة وهو يقول ضاحكا

ـــ انت زهقت منا ولا ايه .. ؟

ورد محسن قائلا :

ـــ أبدا يافندم .. أصدى حاضر يافندم . . .

وتمر الايام واصبح الاستاذ ظاظ بلا عمل ؟ حول لمحسن كل عمله واصبح متخصصا فى القاء الاوامر والتعليمات ؟ تخلص من مسؤليته شيئا فشيئا ومحسن يقوم بالعمل وابتسامات ؟ الزملاء وقفشات البنات تطارده ولكنه يحس بأن فى الأمر شيئا حتى كان ذلك اليوم الذى اكتشف ان مايعمله يأخذ عنه

سى ظالط اجرا اضافيا وان ظالط يسخر منه ويسخره ، وكظم
محسن غيظه ولم يخبرة بشيء .. حاول التمرد . . ان ينفجر
ولكنه بصعوبة بالغة سيطر على نفسه . . انتظر شيئا . . بجهولا
احس انه فى حاجة للمدير الذى لم يرة اعتقد اوه لابد ان ينصفه
سيتظلم وسيشكوله وسوف ينصفة . . انة رجل جد هكذا
يقولون وتمر الايام واحلام الانقاذ تراود محسن والثورة
تعتمل فى جوانحة ثم تجمع غيظة . . شعر انه انسان مستغل
وان من العار ان يسكت على هذا الظالم . . فقد صبرة انه
يتعذب وان اخوةله يعذبونة لماذا . ؟ انةلم يسيء لأى انسان
لماذا يعذبونة . . كرة الاستاذ ظالط كما لم يكرة انسانا فى
حياتة . . اعتبرة عدوا مستغلا . .

وفى البيت شعرت زوجته أنه يحترق فسألته ولكنه لم
يخبرها ثم أصبح يحدث نفسه يشكو لها بصوت عال وتنبهت
زوجته أحست بخطورة الأمر عندما وجدته يحدث نفسه فى
خلوة وبصوت عال قائلا :

— هوا معقول ؟ ادا بعدك ياسى ظالط . . هو استغلال
والا استغلال . . ؟

وبكت ليلى وهى تقول له :

ــ محسن . . حبيبى ايه اللى مضايقك . . ؟

وانفجر محسن . . اخبرها بكل شىء وهو يتلعثم وينفجر واستمعت فى هدوء ثم قالت بصوتها الحلو وتقاطيع وجهها الجميلة تعبر عن الثورة والغضب .

ــ ياخبر يا محسن للدرجة دى . . ظاظا ايه وبتاع ايه . . يسقط ظاظا . . هو انت فى الميدان والا ايه . . ؟ لازم توقفه عند حده .

واستقر راى محسن على الثورة . .

وفى الصباح توجه كعادته فى خطواته النشطة نحو مكتبه واستقبله الزملاء بوجهه الباسم ، ورآه الجميع وهو يستقبل ظاظا ببرود وتعجب ظاظا وساله قائلا :

ــ ايه ياسى محسن . . فيه ايه . . ؟ انا زعلان منك مكشر ليه . . تعالا ياعم نشوف شغلنا وورانا بلاوى متلتلة .

وانفجر محسن قائلا :

ــ بلاوى ايه وزفت ايه وأنا مالى ومال بلاويك انت دا شغلك مش شغلى .. دا عمل اضافى بعد الظهر أنت بتاخد عنه أجر

كفاية استغلال بقى .. كفاية نصب كفرتنى يا أخى .. ياساتر

وذهل الجميع .. لم يكونوا يتصورون أن يثور محسن وأن يلقى بهذا التحدى فى وجه ظالط وخاصة فى هذا اليوم فالمدير موجود بداخل حجرته ولا ريب أنه سمع كل شىء والنتيجة معروفة .. يارب استر .

وبعد لحظات استدعى المدير محسن وطلب منه توضيحا لما حدث ولم يستطع محسن أن يتكلم ، أحس بأنه غارق فى بحر متلاطم الأمواج وأنه يهبط إلى القاع بسرعة هائلة .. ولم يتكلم وتأكد للمدير أنه محرج فقال له ببساطة :

ــ انت عصبي ولا تصلح للعمل معى .. قدم طلبا وسوف انقلك ... ووجد محسن نفسة يقول بصوتة المتحشرج :

ــ حاضر يافندم .

المصيدة

كانت زيارتى الأولى للمكان التى كنت أعمل به بعد غيبة طويلة ووجدت تغييرا هائلا وفى الحقيقة لم يدهشنى هذا التغيير لسبب بسيط جداً هو ان الذى شغل المكان بمدلقل الادارة التي كنا نعمل بها هو مدير عام المصلحة وبالطبع كان لابد ان يتغير مظهر الحجرة المهلهل وأن تجرى لهـا عمليـات تجميل وان تطلى بالألوان الجذابة وان تبدو فى صورة مشرقة تتفق والمظهر البراق للوظيفة الخطيرة ... وظيفة المدير العام .

ولانى كنت موظفا فى العلاقات العامة فالمدير يعرفنى معرفة وثيقة ولذا لم يكن غريبـا ان يستقبلنى فى حجرته ولم يكن غريبا ان يتبسط معى وان يبدو فى تبسطه معى انسانا وصديقا ابتسم المدير العام وهو يقول :

ـــ لقد تذكرتنا .. لم تنسانا .. هذا زمن ينسى الانسان فيه اخاه .. ثم نظر الى نظره حانية وقال :

ـــ أرى على ملامحك كلمات كثيرة تريد أن تقولهـا .. صبرك بالله ساعطيك الفرصة ولكننى أحب دائما وكما تعرف أن أتكلم معك وبصراحة تامة يربطنا أشياء كثيرة اكثر من الوظيفة

الانسان دائما يبحث عن انسان يفهم حتى لو كان أصغر منه او اقل منه ،

— لا تغضب — هذه تعبيرات حكومية المهم جميل جداً ان تزورنا وان تعود اليوم وأن ترى التغيير الكبير الذي يحيط بنا الوان براقة تزييف حاولت ان اجعلهم يجلعوه مخففا ولكن لابد من ارضاء المدير العام .. سيادتى يعني وهذا لاذنب لى فيه الا له القانون ابن عم خالك الروتين الذى كثيرا ما حدثتنى عنه وهو يقف حجر عثرة في سبيل نشاط العلاقات العامة التى تحتاج للحركة والسرعة والتنفيذ ... المهم اراك تبحث عن اشياء .. بالطبع كانت حجرتك .. هل تغيرت كثيرا .. ؟ .. وابتسمت .. ثم وجدتنى اقول :

— انني ابحث عن صديق

وقال وقد رسم على ملامحه معالم الدهشه صديق ؟ هنا فى حجرتى ..؟.. وضحكت وانا اقول :

— بالطبع انه صديق عزيز .. عزيز على جدا .. كان سلوتى فى وحدتى ... كان وسيلتى للقضاء على الوقت .. تعلم ان وقت الظهيرة فى هذا المكان.

— بالطبع قبل التغيير والتكييف وخلافه — كان شيئا

للإطلاق وكثيرا ما وجدت نفسي وحيدا .. ثم رأيته أول مرة دخل على الحجرة كالقذيفة ودون إستئذان ثم اقترب مني في حذر وظل يدور حولي دورات سريعة متحفزه حذره ثم تحول في اتجاه الحجرة ثم اسرع بالفرار دون ان يمكني من معرفة ماالذي اراده بهذه الزيارة غير المتوقعة . . ، واعتقدت أنه لن يحضر بعد ذلك وانها نزوة ولكنني كنت مخطئا ففي اليوم التالي شرفني بالزيارة ولكنها كانت زيارة طويلة نوعا ما بدأها بالهجوم الخاطف ثم بالتجول الحر ثم بالاقتراب والتطلع في حذر ثم بالهدوء المشوب بالحذر أيضا . . ثم تواليت زيارته وتوالى تجواله الممتع وشيئا فشيئا وجدتني دائما انتظره انتظر زيارته انتظر تجواله البرىء واتطلع لنظراته الباسمه ومداعباته الخفيفة المدهشة وأكد لي صداقته فاصبح يقترب مني ويلعب بجواري ويمر من امامي وقد خفض من سرعته ثم يتوقف ويجيل نظراته في ارجاء المكان ثم اكاد ارى ابتسامة ودية تنطبع على ملامحه الناعمة كان حبوبا حبوبا لطيفا وشدني اليه بكل قوة . . وجدتني أسيرا لعاطفة قوية أصبحت انتظره كل يوم وشيئا فشيئا بدأ يكشف عن اسراره كنت احسبه يهبط علي من الخارج ، ولكن ولدهشتي وجدت مكمنه قريبا مني كان ركنه المفضل الذي ينطلق منه قريبا جدا

ولكن لذكائه المفرط كان يتسلل أولا إلى الخـــارج ثم يعود كالقذيفة فى محاولة خادعة للتعميه حتى يطمئن على نفسه وحتى لا تدهمه الاحداث وحتى يستطيع مواجهه الطوارىء التى لا يعرفها ثم توطدت أواصر الصداقة واصبح يجد السعادة كل السعادة فى تقربه منى وتمسحه بى وكان ذلك شيئا رائعا بالنسبة لى فقد ثبت لى أنه صديق وثبت لى أننى فى حاجة لمداعباته وزياراته الصاعقة حتى كان ذلك اليوم الذى تقرر فيه نقل ادارتى الى مكان آخر بل وانتقالى نهائيا من المصلحة .

كنت اتكلم والمدير العام يستمع فى سعادة ولدهشتى وجدته يبحث بعيونه فى ارجاء المكان يمسحها مسحا باحثا عن شىء وسألته ضاحكا :

— أو تعرفه أنت أيضا ..،

وجلجلت ضحكته وهو يقول :

— أعرفه . ، . أنه صديق عزيز . . هاها أعز صديق كم كان ظريفا فى لهوة معى . كم كان لطيفا وهو يتحدى الجميع يتحدى مجلس الادارة . . هاهاويصول ويجول فى الحجرة غير خائف ولا م، تجف هاها ساقول كيف تعرفت على هذا الصديق تعرف ان المدير العام دائما وحدة ودائما فى حاجة لمن يؤانس هذه الوحدة

وبالطبع ماعدا الاجتماعات اجتماعات المناطق اعتمادات الادارات
اعداد كبيره تجتمع ونقاش يدور واسألة تسال فى مثل ذلك الوقت.
اكون مرهقا واكون فى حاجة لمن ينيه ضيوفى الكرام الى اننى من لحم
ودم واننى فى حاجه الى الهدوء

ما علينا .. لاانسى ذلك اليوم .. قبلة بايام كنت قد
تعرفت علية قدم لى نفسه ببساطة وادار ظهره ثم عاد وبصحبته
اخوته ولم ارهم معه بعد ذلك ابدا ثم أصبح يانس بى واصبحت
اشعر به ثم ربط بيننا شعاع غير مرئى من العطف المتبادل أحس
بوحدتى واحسست بحاجته الى صديق . هاها . المهم كان اجتماعا
عاصفا ذلك الذى حدث بعد ان نمت صداقتنا وأصبح بيننا تفاهم
مؤكد دخل علينا فجاه وانا اشرح لهم موضوعا خطيرا كان هناك
تقصير متعمد وكنت ثائرا وكان المسئول يرتجف
ويجفف عرقه ويتاعثم وهو يرد على وبقية الاعضاء فى حيره
من امرهم وفجاة اقتحم الحجرة دون استئذان وصافح الجميع
بنظراته الساخرة ثم قفز قفزة واحدة واصبح قريبا من الاعضاء
وخيم على الجميع صمت رهيب ثم انطلقت ضحكه لم تكن
ضحكتى .. كانت ضحكة السيد الذباب كان فى حاجه لهذه الضحكة
ليصفو تفكيره وليقنعنى وكنت فى حاجة لضحكة تزيح الغضب

من نفسى وتجاوبت معه وضحكنا وجلجلت ضحكاتنا وسرهو بالنتيجة فظل يجول ويصول ثم أختفى فجاة كما حضر فجاة وأقسم لك أن الموضوع لم يكن بالسوء الذى تصورته وان غضبى لم يكن فى محله تماما وكانت نتيجة الاجتماع مرضية وخرج الجميع سعداء.

وجلست أنا أفكر فى الصديق العزيز ولكنه لم يحضر ومرت أيام ثم رأيته أمس كان فى حالته العادية تماما جذابا سعيدا وظل يذرع الغرفة مرات متتالية ثم ألقى على نظرة فاحصة مدققة ثم أرتسمت على ملامحه شبه ابتسامة واختفى فجاة واليوم لم اره وكنت انتظره ولم أكن أعتقد أن له صديقا عزيزا غيرى ولكن الظاهر أن له أكثر من صديق وبالطبع يختار اصدقاءه من ذوى الحس المرهف والاحساس النبيل وانت كفنان واحد من هؤلاء وقاطعته ضاحكا وأنا أقول :

— لقد أحسن هو الاختيار . . صادق المدير العام علاوة على الانسان والفنان . . وضحكنا سويا ولكن قطع ضحكاتنا دخول ساع نوبى طويل عريض اعرفه وأعرف اسلوبه الضاحك وجدناه يقترب فى حذر من ركن فى الحجرة ويختفى وراء سلة مهملات كبيرة ثم يرفع شيئا ولدهشتنا كانت مصيدة

فران وكان الصديق العزيز أسيرا بين جدرانها مكبل بالقيود ونظرات حزينة تطل من عينيه . ونظر الى المدير العام ونظرت اليه ثم قال المدير العـــام :

ـــ عم رمضان .. ايه اللى انت عملته دا ..؟..

ـــ عملت ايه يابيه ..؟

ـــ عملت اية ..؟.. ايه اللى انت شايلو دا ..؟

ـــ شايل فار يابيه ..فار متعب ..فار مسعور .. تصور سعادتك بقالى شهر عاوز امسكه لكن مافيش فايدة .. يدوبك سعادتك تخرج من هنا وهو يجرى فى الاودة على حل شعره .. والأكادة انه ما تحلاش له القعدة وهو بيعوص الاعلى كرسى سعادتك ولا مؤاخذةزيك تمام حتى قلت لازم اصطاده والحمدلله وتطلع المدير الى بنظراتة الضاحكة وهو يقول :

يعنى كان بيشتغل بعد الظهر اجراضافى يعنى..ورديه ليليه.. .. عنده ذوق .. ورد النوبى .

ـــ ذوق ..؟ .. ذوق ..؟

وضحك المدير وهو يقول :

ــ عم رمضان . . سيب الفار دا . . سيبه . . بلاش حكاية المصيدة دي . . هو ناقص ياأخى . . حرام . . ماكفاية المصيدة الكبيره اللى احناجواها . . انا وانت وهو . . وكل الناس . . سيبه خليه يخرج

وفتح العجوز باب المصيدة ولكن الصديق العزيز لم ينطلق فورا بل انتظر برهة حتى تاكد ان الامر جد لاهزل ثم انطلق لا يلوى على شيء .

حبيبان

نزلت كلماتها على سمعه كالصاعقة . . زلزلت كيانه حتى اهتز وارتجفت أصابعة وتشنجت ثم جر ساقية جرا ليبتعد عنها كم كانت قاسية انها وحش صغير كيف أصبحت ذلك الوحش وهى الانسانه التى تربعت فى قلبه وملكت عليه فؤادة يالهامن صدمه مؤثرة . . وجد نفسة ينصرف من امامها فى تثاقل أحس كأنه يحمل أثقال العالم كله فوق رأسة . . شعر أنه حزين اغرورقت عيناه بالدموع وسار فى طريقه مطاطىء الرأس وفى ركن بعيد اتخذ لنفسه مجلسا ثم أطرق الى الأرض الافكار تطحنة وفكره غير مستقر يريد أن يفهم ماحدث ولكن لايستطيع ثم جذبت اصابعه علبة السجائر وأخرج واحدة ثم أشعلها بأصابع مرتجفة وجذب منها نفسا عميقا ابتلعة فى شراهة ثم تبعه بآخر وهكذا مرات ومرات حتى التهب حلقة وأصابته نوبة من سعال وكأنما انزاح عن صدره كابوس رهيب ثم بدأ يصفو ذهنه وتساءل فى أسى : ماالذى حدث ؟ كيف تغيرت ليلى الى هذا الحد ؟ لماذا أصبحت فى مثل هذه القسوه ؟ وكيف طاوعها قلبها على أن تقذف فى وجهة بهذه الكلمات . . ؟ هل يستطيع نسيانها ؟ كلمات حاده

وقاطعه مزقت قلبه وطحنته حتى جعلته يئن من شدة القسوة قالتها له بلسانها الذى طالما حدثه الحديث العذب نطقتها بفمها الجميل الذى كثيرا ماطبع فوقه قبلاته وامتزج فى فيه رحيقه العذب . امتزج بروحه وكيانه . . هل يصدق أن هذه الكلمات القاسية خرجت من فمها هى . . منها هى شخصيا ، وبعد كل ماحدث بعد الايام الطويلة التى عاشا فيها على الود وأقاما على الصداقة بنيان المستقبل . . يحلمان بالعش الصغير الذى سيضمها فى يوم من الايام . . كم كانت قاسية انه يستعيد الكلمات وتمر بذهنه خاطفة صاعقة مدمرة تزمجر فى اعماقه تطمس معالم حياته وتدمر كل مابناه معها من آمال ثم يتساءل : هل ينسى ماقالته ؟ هل ينسى الكلمات المزمجرة . . ؟ لا لا ان نتزوج ياحمدى لست لى ولست لك لاأستطيع ان أسخر من نفسى لقدمر وقت طويل وعود ووعود ولكنك لم تفعل شيئا وكيف تفعل هذا الشىء وأنت لاتتحرك وأنت لاتخطو خطوة واحدة . . ويتذكر حمدى انه لم يكن مقصرا فى يوم من الايام . . ليس الذنب ذنبه ، لو أراد أن ينحدر الى أعماق الهاوية مع غيره من الشلل المسيطرة على الحياة فى بلده لاصبح شيئا هاما ولكن مايعيبه هو الصدق والصدق ليس منجيا كما يقولون . . ان الصدق مأساة هذا

العصر الانسان الصادق لايعرف كيف يعيش أما المنافقون والدساسون وقطاع الطرق . . فأبواب الحياة مفتوحة أمامهم على مصراعيها يتخطون الحواجز ويقفزون الاسوار ويشقون السحاب بقدرتهم . . بالاعيبهم أما الذين يتطبعون بطباع الصدق وتكون الحقيقة وسيلتهم فانهم يهبطون الى قاع الجحيم . . الى قاع الواقع الاليم . . وفور هبوطهم يقيدون بالارض ولا يستطيعون فكاكا تربطهم أغلال غير منظورة فلا يستطيعون اختراق الحواجز ولا يستطيعون نوال المستحيل . . انهم مقيدون بأعماقهم بمثلهم العليا التى تعذبهم وتجبرهم على أن لايطلبوا المستحيل الا بإرادتهم وحدهم وطبقا لمبدأ اخلاقى يتخذونه هاديا وسبيلا . . انها حياتهم وكأنما كتب عليهم العذاب وكأنما خلقهم الله ليكونوا شهداء . . ماذنبة وهو لايستطيع الا أن يكون هو بشخصه وقدرته بانسانيته وطبيعته وهى لم يعجبها صدق عاطفته . . انما ارادته مدمرا قادرا مفترسا . . هل ينسى كلماتها وهى تصرخ وتقول (لاتعتقد أنى سأعيش على الاوهام . . المرأة هى المرأة تريد أن تكون منعمة تريد أن تكون قادرة . . تريد أن تحس بالسعادة) وعندما قاطعها قائلا : أو لم أقدم لك السعادة لقد أعطيتك قلبي وسعادتى) قالت فى سخرية مريرة أدمت قلبه

هراء . . أى سعادة ؟ ان ماتعطيه لى هو الوهم هو الشقاء هل سنعيش بقية عمرنا على العاطفة ؟ هل سنأ كل عاطفه و سنشرب عاطفة ؟ لا أنت خيالى وأنا انسانة واقعية انسانة أريدأن أعيش كما أحب واهوى كما تريدنى الحياة أن أعيش .

أنا شابة وجميلة ولا أريد أن أصبح كهلة عجوز محطمة . . ماذا ستقدمه لى العاطفة هل ستكسونى ؟ هل سآكل العاطفة ؟ هل ستجعلنى العاطفة أسكن ناطحات السحاب ؟ إن العاطفة ستجرنى جرا إلى القبر ستأخذنى معها إلى الهاوية إلى البؤس : وعود ووعود . سوف يفتح المستقبل أبوابه على مصراعيها أمامى . . . سوف أكون . . سوف . . سوف وعود ووعود يا حمدى لم تتحقق . . شهور وأنت تقول سوف وسوف المستقبل . . أنت تحبو وأنا أريد إنسانا يسير بسرعة الصاروخ . . هكذا يعيش الناس ، نحن فى عصر الصواريخ وأنت تعيش فى عصور ما قبل التاريخ . . تريد أن تحلم وتحلم والأحلام مصيرها إلى زوال . . إنها سراب وأنا أعيش فى الواقع لا بد أن نفترق يا حمدى . . أنت لأحلامك وأنا لواقعى لقد سئمت الوعود ملأت كل شىء . . أصبح كل شىء عبئا ثقيلا على نفسى

أصبح كل شىء كريها . . كلا يا حمدى لن يضيع عمرى هدرا .
لا لقد انتهت قصة الحب ، راح الوهم ، تحطمت الأسطورة . .
كنت مخدرة كان وهما وأنا إنسانة أعيش فى واقعى ولا أهوى
الأحلام . . حمدى . . لقد ارتبطت بإنسان إختاره أهلى . .
لا تتعجب فأنا الإنسانة المتحررة أوافق على شىء كهذا إن ما
حدث ليس حلما . . لقد تقدم لأهلى استاذ بالجامعة يملك
(فيلا) وعربة وله رصيد بالبنك . . إختاروه لى ووجدته
نعم الإختيار . . كنت قد سئمت كل شىء . . . . سئمت
الخيال والوعود والأحلام . ووجدتنى ولدهشتى أوافق وترتسم
معالم الرضا على وجهى وانبسطت أسارير وجهى فى سعادة
وحسبت أمى أننى سأسخر من ذلك العرض ولم تكن تدرى أن
عرضها جاء فى الوقت المناسب تماما . . طبعاً من حقى أن أختار
حياتى . . لقد انتظرت وكنت سعيدة فى بداية الأمر ثم تكشفت
لى حقائق الحياة التى لم أكن أعرفها . . لقد وافقت لأننى أريد
أن أعيش ، ومعك لن أعيش بل كنت سأودع الحياة بل من
الممكن أننى كنت سأتعذب وتصبح مغادرة الحياة مجرد أمنية
أحلم بها ولا أستطيع نوالها . .

الكلمات تعصف فى رأس حمدى . كيف تركها تقول له كل هذا . . إنها خائنة .. خائنة . . خائنة . . كيف استطاع ان يجعلها تطلق عليه الرصاص بهذه الكلمات المدمرة لقد انغرست كلماتها فى كيانة كله . . فى قلبه وعقله . . بل لو كانت هذه الكلمات رصاص حقيقى لأراحته من عذابه ولكنها . . كلماتها هى .. كلمات ليلى التى كانت فى البداية تذوب رقة وحلاوة ثم اصبحت سما زعافا . . كم اصبح يكره حياته . . كيف يصدق ان ليلى فعلت كل هذا وقالت كل ذلك الكلام . لقد مزقته إربا .. لم يعد حتى يقوى على نزع الأفكار من راسه .. آه .. ثم سمع كلامها : ايوة ياحمدى . . وافقت على الأستاذ وغداً ستقدم الشبكة ثم يكون الزواج وتكون الحياة بحلوها ومرها .. لا ان يكون هناك شيء له طعم مر .. إنه غنى ولا يحلم .. وانت فقير وغارق فى الأحلام واتمنى لك حظاً سعيداً ونصيحتى لك ان تخفف من غلوائك . . ان تتخلص من مثاليتك . . ان تتطور . . ان تكون واقعى . ثم سكتت واطرقت برأسها إلى الأرض . . هل خجلت . . ؟ كلا . . إنها لا تعرف الخجل . . ان ما حدث لها قد قلب كيانها

فهل تريد قلب كيانه هو الآخر .. ؟ تساءل ولم يجد جوابا
بل وجد الدموع تبلل وجهه وتنهمر فى غزارة واخرج منديله
فى سكون وسمع نفسه يردد بصوت يكاد لا يعرفه : لقد خانتنى
وكانت الخيانة سهلة بالنسبة لها وتريدنى أن اخون مثلى ومبادئى ..
لن يحدث ذلك لأنى لا أستطيع . . إنها تختلف ولم اكن
اعرف ذلك والآن عرفته . . من يدرى . . ؟

ثم نهض من مكانه وشد قامته فى إصرار وغادر المكان
وهو يردد بصوته الذى اصبح يعرفه تماما . . من يدرى . . ؟
. . لا إننى ادرى تماما . . لا أستطيع . . . . لن يكون
ذلك أبداً . . .

البعث

أنت لاتصدق ما حدث ؟ . ولكن ما حدث يعرفه الجميع ويحكيه الجميع ، ما من نجع من نجوع الصعيد إلا والقصة تروى فيه على كل لسان ، لقد أحدث صاحبك إنقلابا فى القرية . . انقلاب حقيقى . . تغيير جذرى وليس ما حدث سوى صورة حقيقية للتغيير لإرادة التغيير لصوت الملايين ، سأحكى لك ما حدث .

ما من إنسان فى القرية يستطيع أن ينسى صباح يوم ٨ يناير ولكن لماذا أسبق الحوادث ؟ . . ساخبرك بكل شىء بالتفصيل لن تضيق بالتفاصيل إنها تاريخ مجيد لهذا الإنسان .

كنت سكرتيراً للجنة الإنتخاب التى كان هو رئيسا لها . . . لم أكن أعرفه ورأيته لأول مرة مساء الثلاثاء ٧ يناير . . . أوصلته العربة إلى مقر العمدة فى قرية — السلامية — وعندما نزل منها تعرفنا عليه ، كنا قد سبقناه وقدم لنا نفسه ضاحكا وهو يقول :

— أنا محمد أحمد عبد العال رئيس اللجنة وأنتم طبعا السكرتارية . . ما لكم يا أولاد قاعدين على باب المدرسه كدا .. فين

العمدة وشيخ البلد وشيخ الخفر ؟ فين الأهالى .. مش شايف إلا شوية بط رشوية وز سمان قوى بيتفسحوا على الكورنيش بتاع البركة . . هاها . . . وضحكنا كلنا . . روح ساخرة وقلب صاف ، ثم أسرع إلى دوار العمدة وطلب مأمور القسم وقال له فى التليفون :

ـــ يا حضرة المأمور العمدة مبلغ فرار ما فيش مكان حتى نقعد فيه أنا واللجنة وبكره الإنتخاب . . إنتخاب مجلس الأمة . . . وفجأة يدخل علينا العمدة . . . رجل أصفر الوجه معروق اليدين نظراته نفاذة وأمسك بساعة التليفون وسمعناه يقول للمامور :

ـــ يا بيه أنا مستعد لكل حاجة . . . سعادتك عارف أننى فى أجازة مرضى . . . لكن حاقوم بالواجب . . . لازم أقوم بالواجب . . دول ضيوف وحينتخبوا بكره . . ثم أعطى سماعة التليفون لمحمد احمد وأكمل محمد احمد كلامه ـــ المأمور بروحه الساخرة قائلا :

ـــ خلاص يا بيه سعادة العمدة وصل والعتب على النظر .. متشكرين قوى . . . . عن اذنك . . مع السلامة .

وانتهت المكالمة وظللنا نبحث عن العمدة ولم نجد له أثراً . . .

كنا فى مازق فالبلد تجمع صغير فى أعماق الصعيد لا حياة فيها ولا مكان للمبيت ، والعمدة رجل غريب يتحرك فى الخفاء يحضر ولا نعرف كيف يحضر وينصرف ولا نعرف لماذا انصرف .. ما سر هذا الرجل . . ؟ ما الذى يحيره . . لماذا يعادى رجالا المفروض أنهم حضروا لخدمة القرية ولتأدية واجب وطنى ، وأين كرم أهالى الصعيد ؟ . . . الأمر فيه سر . . . هكذا فكر محمد احمد بسرعةووجدناه يصرخ قائلا : وجدتها يا أولاد . . لازم فيه سر لكن بشرفى حناخد حقنا . . ثم رجعنا إلى المكان الذى كنا نجلس فيه وبمضى الوقت حضر الأهالى وتعرفنا على الأستاذ حميدة ناظر المدرسة الإبتدائية ونائب العمدة ونماذج كثيرة من الناس البسطاء فتحوا لنا قلوبهم ، حدثونا كثيراً عن العمدة وعن المرشح الثالث الذى ليس من الأعضاء القياديين . . الإقطاعى السابق الذى يتحزب له العمدة والذى يعادى البلدة كلها من أجله والذى أقسم أنه ضامن نجاحه مية لمية، وضحك ناظر المدرسة الأستاذ حميدة وهو يقول :

ـــ خليك جامد يا محمد بيه .. أوعى تتاكل الراجل عامل حكاية كدا لو فاتتك مرشح الاقطاع حينجح ومرشح الفلاحين

الفلايه حيسقط . . اوعى ياشيخ اوعى ياراجل وغرقنا فى دوامة الامر خطـــير . . الرجل يدبر مؤامرة كبيرة ولـكن لابد أن نحتاط .

وعندما حل المساء عرض علينا ناظر المدرسة أن ننزل فى ضيافته ولـكن ناظر المدرسة ضد العمدة . . وأراد محمد أحمد بذكائه أن لايعطى العمدة فرصة للدس والوقيعه وظل يعمل فكرة المتوقد ليخرج من ذلك المطب وفعلاأخرجنا منه ببساطة عندما خاطب الشيخ حمزة الذى عرفنا بنفسه من قبل والذى عرفنا منه أنه يقيم فى القاهرة وأن له بيتا فى أطراف البلدة ولا يحضر الا فى المناسبات مثل الانتخابات مثلا ، وبشجاعة يحسد عليهـــا قال محمد أحمد :

ـــ أستاذ حمزة . . عندك مانع ننزل فى ضيافتك الليلة . . لانريد أن ننزل فى ضيافه العمدة ولا فى ضيافة ناظر المدرسة . . نريد طرفا محـايدا لا ناقة له ولا جمل لاسبـــاب كثيرة ستعرفونها غدا .

ووافق الشيخ حمزه فورا ولم ندر ماذا يريد أن يفعـل محمد أحمد . وانقضت الليلة بسلام ثم استيقظنا على دقات الطبول

والهتافات وارتدينا ملابسنا على عجل ثم توجهنا الى مقر لجنة الانتخاب وبدأت وفود الناخبين تتقدم فى صفوف طويلة نحو اللجنة وتربع محمد أحمد فى صدر المكان وتوافد الناخبون أمامه واحدا أثر واحد ولم تمض ساعات حتى كان جميع الناخبين قد انتهوا من الادلاء باصواتهم فى حرية مطلقة لم يترك محمد أحمد فرصة لاى مندوب أن يتدخل وكان صبورا وهو يدل كل فرد على مايفعله ثم فجأه سمعناه يقول لقائد قوةالحراسةولشيخ الخفراء والنواب المرشحين :

ـــ والآن عندى ثلاثمائة صوت لنساء القرية لماذا . . . لم يحضرن . . ؟

وأصاب الجميع ذهول ولم يتكلم أحد ونظر اليهم محمد أحمد نظرات فاحصة فأطرق الرجال برؤوسهم وفجأة قال الحاج محروس مندوب مرشح العمال وهو عضو فى المؤتمر القومى العام

ـــ أستاذ محمد سأقول لك السبب ومتى عرف السبب بطل العجب . العمدة سر البلوى .. سجل أسماء نساء القريةواحتفظ بالبطاقات فى بيته ومتأكد أن المرشح بتاعه حينجح لأن ثلاثمائة صوت عدد كبير ومافيش ولاواحدة ست تتجرأ وتدخل اللجنة

والبلد كلها ضد مرشح العمدة لأنه عمدة زيه .. إقطاعى سابق ..
والموضوع عاوز حل . . وقال محمد أحمد وابتسامة الفوز على
وجهه :

ـــ هذا ما حسبته تماما . . يا شيخ الخفر ويا قائد القوة
ويا حاج محروس . . . أرجوكم اذهبوا فوراً إلى بيوت القرية
واطلبوا من الرجال أن تأتى النساء للادلاء بأصواتهن لأن ذلك
واجب وطنى وإلا سقط مرشحكم .

وأعاب الجميع وجوم غريب بددته ضحكات الحاج محروس
وهو يقول :

ـــ انت نمس وبشرفى أول عيلة ستحضر نساؤها عيلتى أنا . .
أمال . . ؟ لازم أكون قيادى بحق وحقيق ، وتبعه قائد قوة
الحراسة وشيخ الخفر . .

وظللنا وحدنا فى مقر الانتخاب ومر الوقت سريعاً ولم
يحضر أحد وظلت نظراتنا تجوس خلال أزقة القرية بحثا عن
شبح امرأة واحدة ولكن لم يحضر أحد وعندما بلغ بنا اليأس
مداه وكدنا نستسلم له تحرك محمد أحمد بسرعة واستدعى العمدة
وطلب منه أن يوزع البطاقات الصفراء فوراً لصاحباتها وإلا
أرسل إشارة لمديرية الأمن وسوف يحقق معه على أكبر مستوى

ولا تنسى القاهرة . . واستجاب العمدة بسرعة ووزعت البطاقات
ثم بدأت نساء القرية فى الحضور واحدة وراء واحدة ثم جماعات
ثم تكامل عددهن وارتفعت أصواتهن وكن فى أحسن زينة ولا
أنسى نظرات الرجال لهن وخوفهن وخجلهن ثم السرور الخفى
الذى يضيء أعماقهن التى استجابت للنور وتفتحت للأمل وبدأن
يقبلن على المكان المختفى وراء الستارة وارتفعت أصواتهن وسمعت
لهجتهن الريفية الساذجة وهى تردد :

ـ النخلة والجمل ـ ثم وهن يؤشرن على البطاقات ثم
وهن خارجات يرددن :

ـ النخلة والجمل ـ ثم انصرافهن بسرعة ونظرات الرجال
تفترسهن فى غضب واستنكار ثم يصفو الجو شيئا فشيئا ثم يتعالى
الهتاف بحياة ـ النخله والجمل ـ وسقوط الهلال العمدة ابن
العمدة . . . ثم تنتهى الانتخابات وتقفل المحاضر وتحس البلدة
بما حدث . . تحس أن شيئا جديداً قد دب فى أعماقها وأن روحا
شابة قد تقمصت شيخوختها وأن العافية تدب من جديد فى الجسد
الذى حسبه الناس ميتاً . . ثم ضحكات الحاج محروس وهو يقول :

ـ أستاذ محمد . . آخر خبر . . البنت سعدية بنت الشيخ
أبو لحاف اتخانقت مع جوزها الواد عليـوة وجالت له . .

إشمعنى أنا ليه مكتبتش إسمى فى الانتخابات . • أنا عايزة بطاجة
يا أروح بيت أبوى يعمل لى بطاجة .ها ها و ضحكنا جميعاً.
هكذا أحدثت يا محمد إنقلابا فى حياة القرية . . . هكذا يا محمد
أحدثت روحك الإنسانة بشفافيتها المرهفة فعلها العجيب فدب
دبيب السحر فى أعماق القرية التى حسبها الناس وقد ماتت منذ
آلاف السنين . • إنها حيه . . إنه البعث يا محمد . . هذا ما حدث
هل تصدق الآن . . . • أقسم أن هذا قد حدث وأنى عشته لحظة
بلحظة وما زلت أعيشه سعيداً به متفائلا بروحه القادرة . . .

الجوهرة السوداء

باصابع مرتجفة وعيون زائغة وقلب تسارعت دقاته .
أخذت «« مارتا »» فى فض غلاف البرقية وقرأتها ووجدت
نفسها تبكى ، فاسرعت الى حجرتها والقت بنفسها فى الفراش ،
وانبعث ماضيها حيا . . توالت صوره على ذاكرتها تذكرت
طفولتها وتذكرت أمها التى قاطعتها منذ سنة .. هل تستطيع أن
تنساها ذلك اليوم . . ؟ صرخت فيها :

ـ مارتا . . لاتقتربى من هذا الوحش

هل تنسى نفسها . . وهى تتطلع الى الرجل المائل أمامها
حينذاك كان يبتسم لها ثم ابتعد مسرعا عندما سمع صوت الأم
. . وأسرعت هى الى أمها ، والقت بنفسها بين ذراعيها واحتضنتها
الام بقوة واخذت تهمس فى أذانها بكلام اخافها

ـ عزيزتى مارتا . . أنت صغيرة الآن وغدا تصبحين
عروسة حلوة . . لا تقتربى من هؤلاء السود انهم ليسوا مثلنا
. . انهم وحوش

ـ هل يعض ياماما ؟ هل الرجل الاسود يعض

ـ طبعا . . ولولا اسراعى اليك لاختطفك ذلك الرجل

الاسود وحملك الى الغابة وأفترسك

كم كان انزعاجها فى ذلك اليوم شديدا .. وجدت نفسها تحتمى بصدر أمها .. وما كان أشد سرور الام .. فمنذ ذلك اليوم لم تعد الطفلة الصغيرة — مارتا — تقبل الاقتراب من أى انسان أسود .. لابد أن تحتقر الافريقيين وتعتبرهم وحوشا نجحت حيلة الام مع مارتا ، وشبت الطفلة ترتعد من مجرد رؤية انسان أسود .. خافتهم بشدة وطوت قلبها الصغير على سؤال طالما راودها ، كانت تتساءل

— اذا كان هؤلاء السود أشرارا فلماذا خلقهم الله ، وما كانت لتجد أى انسان فى جنوب أفريقيا يدلها على الحقيقة فانطوت على نفسها واعتقدت أن الشرهو الرجل الاسود وأن الجنس الابيض هو الجنس المثالى وكبرت الطفلة وأصبحت فتـــاة وتفتحت عيناها على أشياء جديدة . أدهشتها أن تجد للسود كنائسهم يصلون فيها

— أماه .. انهم يصلون من أجل المسيح .. فهل هم قوم طيبون .. ؟

وتجيب الأم بقسوه : لا تـــكونى ساذجة ياحبيبتى لقد

علمناهم الصلاة لنستطيع ترويض نفوسهم الشريرة وصلاتهم غير مقبولة ولو أن الله يحب الزنوج لاختار المسيح زنجيا

وهكذا وكلما بدا الضوء يتسلل الى أعماق الفتاة تسرع أمها بتزييف الحقائق أمام عينيها وتغرق ابنتها فى تيه من الأباطيل .. وعندما أتمت الفتاة تعليمها واستعدت لتلقى المزيد اختارت لها أمريكا .. وقبل أن ترحل اليها زودتها بنصائح جديدة وحذرتها من الاختلاط بأبناء الشعوب الملونة الذين تغص بهم جامعاتها وطلبت منها أن تصادق أى انسان وتثق فيه ثقة عمياء طالما أن بشرته بيضاء .. وطمأنتها الفتاة واستراحت الام .

ومضت شهور سريعة والفتاة مشغولة بدراستها والجو الجديد الذى وجدت نفسها فيه وتغير فيها الكثير من أفكارها .. ولكنها لم تستطيع أن تنزع من نفسها نفورها من الملونين .. كانت تبتعد عن أى تجمع يكون فية أى فرد ملون حتى اشتهر عنها ذلك وأطلق عليها زملاؤها فى الكلية « مس جنوب أفريقيا » ولم تجد الفتاة فى سخريتهم شيئا غريبا .. فقد تعودت على ذلك .. بل وازداد اصرارها وتشبثها بافكارها .

وقرب نهاية العام أقامت الكليه جريا على عاداتها السنوية حفله لتوديع العام الدراسى حضرتها مارتا مع زملائها وكثير

من المدعوين ، وتعم الجميع بالموسيقى والرقص طوال الليل وحتى مطلع الفجر . وخرجت مارثا بعد انتهاء الحفله رائعة وقد شرد ذهنها فيما رأته وما سمعته ولم تكن حركات الفتيات الماجنة وصراخ الشباب يعجبها .. فقد كانت فتاة محافظة بطبعها ولم يلفت نظرها فى الحفل سوى الحركات الشاذة التى تعمد شاب ماجن ان ياتى بها أمامها كان يتعمد الاحتكاك بها طوال الحفله ولما ابتعدت عنه اقترب منها وهمس فى أذنها بصوت تعمد أن يكون مليئا بالغواية .. مس جنوب أفريقيا .. هيابنا .. وتزوو عنه مارثا ويضحك ضحكة مائعة ثم ينصرف عنها ويعود محاولا من جديد وكلما ازداد سكرا ازداد وقاحة وأخيرا ابتعد عنها ولم تعد تراه طوال الحفلة وتعجبت فيما بينها وبين نفسها .. أى انسان هذا .. وأخذت تقارن بين ما علمته لها أمها وما فعله هذا الملعون وفجاة أحست بحركة خلفها ثم وجدت يدا قولاذية تطبق على فمها وأخرى تجرها جرا الى الاحراش المحيطة بمبنى الكلية وحاولت الصراخ وقاومت ما استطاعت ولكن دون فائدة فقد شل الرعب حركاتها ومنع الخوف انطلاق صوتها وأحست بجسدها البض يعصر عصرا بايد مدربة . وأحست أن فى الامر شيئا مريبا وأن المقصود ليس السرقه ، ولكنها

ضحية دئب بشرى وتمثل لها الذئب انسانا أسود فاهتز بدنها وأصابتها قشعريرة هائلة وانتفضت فى يد آسرها كالعصفور الذبيح وتناهت الى أسماعها ضحكات مائعة وفتحت عيناها على منظر رهيب مجموعة من المراهقين .. وحفله ماجنة واستعداد هائل لذبح الفضيلة وتملكها خوف عظيم ودبت فى عروقها قوة الكفاح فتخاصت من اليد الحديدية ثم أطلقت ساقيها للريح وأخذت الاقدام تطاردها وسط الاحراش .. كانوا مجموعة من الذئاب البيض وصرخت الفتاة فزعة عندما اصطدمت بكتلة آذمية تلقفتها بأذرع قويةقبل أن تغوص اقدامهافى الوحل واقتربت من الانسان الذى احست بقوته وحنانه وهى ترتجف . واقترب منها الذئاب البيض وعندما راوها وراوا الرجل القوى الذى تحتمى به هاجموه بعنف .. ولكنه بقبضته الفولاذية نجح فى سحقهم وتم له النصر عليهم بعد ان اصيب بكدمة بسيطة تحت عينه اليسرى وسألته الفتاة هل اصيبت ، وضحك المنقذ وقال بصوته القوى :

— ليست اصابة .. انها خدش بسيط تبالهؤلاء المراهقين ان لهم (كل ليلة حادثا)

سألته الفتاة بدهشة ؟

— والبوليس .. ؟

وابتسم الرجل ثم قال ساخرا :

— ماالذى يستطيع البوليس عمله .. أن هؤلاء المراهقين وحوش كاسرة انهم يذبحون الفضيلة باسم الحرية ويطارد وقد الفتيات .. ثم يزعمون بعد أن ينتهى كل شىء أن الفتيات هن السبب وانزعجت مارتا وسألت بصوت متألم :

— أحقا ما تقول .. ؟ وأجابها الرجل ساخرا ..

— لعلك لاتطالعين الصحف ... ؟

وعلى الفور تذكرت كل شىء .. تذكرت الخنافس الانجليز ، والمراهقين الفرنسيين والحوادث التى تكتب عنها الجرائد فوجدت نفسها تحتمى بالمنقذ وتتعلق برقبته ثم تقبلة قبلة الشكر واندهش الرجل وسألها :

— آنستى ماذا يحدث .. ؟

وابتسمت مارتا ابتسامة حلوة وقالت وهى تقبله للمرة الثانية

— لاشىء ياسيدى .. انه العرفان ..

وتشابكت ايديهما وسارا وسط الاحراش حتى خرجا منها الى الطريق العام الذى تغمره الاضواء وفى النور توقف الاثنان ، واخذ كل منهما يتفرس فى الآخر .. أدهشها مارأت ، كانت تعتقد أن منقذها انسان أبيض مثال الفضيلة ، ولكن المنقذ شاب أسود فى لون الابنوس يبتسم لها ابتسامة جذابة وتلمع أسنانه البيضاء وتبدو على وجهه معالم النبل الحقيقى وخفق قلبها خفقات جديدة عليها .. لم تشعر بمثلها أبدا ...

الفـــــخ

هب فتحى واقفاً وهو يبتسم إبتسامته الواسعة فقد سحرته الصورة الحلوة التى رآها تقترب فى رقه نحو مكتبه وأحس بقلبه يخفق بين ضلوعه عندما سمع رنين صوتها العذب وهى تسأله فى حياء وتناوله خطابا أخرجته بحيرة من مظروفه الميرى .. أنا ..
وقبل أن تكمل حديثها كان فتحى قد التهم سطوره بسرعة خارقة وعرف أنها زميلة جديده ، معينة على قوة الإدارة وأنها ولأول مرة فى حياتها تصبح موظفة . . وعرف سر حيرتها وسحره بريق عينيها ورقة ملامحها فنسى نفسه وهو يتطلع لها وغرق فى محاسنها وعندما أحست بنظراته التهبت وجنتيها وتصاعد الدم إليها حاراً عنيفاً وتلعثمت حتى أنها لم تستطع أن تتحدث فأخذت تتمتم ما تريده بين شفتيها وتهمس لنفسها به همساً رقيقا مشوبا بالحيرة والقلق ثم نطق فتحى قائلا :

ــ أهلا آنسة سهام . . شرفتينا . . حضرتك دبلوم تجارة طبعاً بتسكتبى على المكنة . . ياه . . دا الشغل هنا كثير خالص وكان فى حاجة لا يد تانية معايا عشان تساعد . . أنا هاسكان أصل أنا سكرتير الإدارة وحنتعاون سوا . . وبينى وبينك كل

حاجة عن طريقي . . خدي بالك حاعرفك وحاشرح لك كل شيء . . قبل الحيصة ما تهل . . الإدارة دى خلاف الإدارات التانية . . عندنا آنسة تانية جديدة برضو بس تا قلت . . حتشوفيها . . وقبل أن يكمل كلامه كانت قد وصلت وتقدمت ببطء وحذر نحوهما ثم قالت بصوت رقيق :

— صباح الخير

وردت سهام وفتحى فى وقت واحد :

— صباح النور

ثم استمر فتحى فى كلامه قائلا : آنسة فيفى . . زميلتك الآنسة سهام حتكون معانا على طول . وتهلل وجه فيفى ، أحست بسرور طاغ فلأول مرة منذ تعيينها فى هذه الإدارة ، ستجد زميلة من جنسها تحدثها وتجالسها وتكشف لها عما فى قلبها ، وتنهدت بارتياح وهى تقول محدثة نفسها غير مصدقة :

— مش معقول . . سهام صديقة زمان . . ياه . . مسير الحى . . ثم قالت بفرح طفولى :

— مش عارفانى يا سهام . . أنا فوزية حسنى اللى كنت معاكى فى إبتدائى وتذبهت سهام ثم تكشفت لها الحقيقة فلم تكن فيفى سوى زميلة الطفولة والشقاوة أيام إبتدائى حقا ما أسرع

لمرور الزمن وتعانقت الاثنتان وطرقعت قبلات رقيقة على الخدود الناعمة وسط دهشة فتحى الذى وقف فاغرا فاه ثم داعبهن قائلا :

ـ يامحاسن الصدف . .

وتحركت فيفى ويدها فى يد سهام نحو مكان الآنسات ووجدت مكتبا خاليا اتخذته لها ثم انشغلتا بالحديث والذكريات .. اجترتا الماضى بحلوه ومره .

وحدثتها فيفى بكل شىء عن العمل . . اعطتها فكرة واضحة وقالت فى حزم :

ـ هنا نماذج غريبة . . نماذج لايمكن أن يرها الانسان فى أى مكان آخر . . مثلا مدير الادارة انسان رقيق ومجامل الى اقصى حدود المجاملة ولكن فى دهاء . . ولا يعيبه الا دس اصحابنا وخاصة سى فتحى دا ولد خطير . .

وتساءلت سهام بدهشة :

ـ أصحابنا وسى فتحى . . ؟ دى حكاية غريبة . . دول ناس كبار ؟

وقالت فيفى :

ـ أيوه ياستى أصحابنا الكبار . . سى محشى الكرنب

وضحكت سهام وقالت متعجبة :

ـــ محشى الكرنب . . هو فيه واحد اسمه محشى ؟

وابتسمت فيفى وهى تقول :

ـــ حاتشوفيه وتدوقيه كمان . . أما سى ابو جلمبوا اللى بينقل كل حاجة ذى مايكون محطة ارسال قوتها غير معقولة اما كامل الاوصاف فحدث عنه ولا حرج . . انسان غير معقول فاكر نفسة هو الوحيد اللى فى الدنيا دى وبس والباقى مش عارفه ايه . . ؟

وتقاطعها سهام قائلة :

ـــ يخرب عقلك . . انت موزعاهم بطريقة شيطانى . . ايه الحكاية . . ايه العمل ؟

وردت فيفى بعصبية :

ـــ العمل دا موضوع طويل . .

وفكرت سهام لابد ان تثبت وجودها . . عليها ان توقف كل انسان عند حده ماهو المطلوب منها . . اليس العمل والعمل وحده . . وهكذا اتخذت قرارها فى صمت . وفسر فتحى سكوتها على انه غفله وسذاجة وبدأ نشاطه واراد ان يثبت لها وجوده . . .

وتلبه محشى السكرتب وابو جلديا النطاط وكامل الاوصاف وابتدأ صراع خفى بينهم وبين فتحى فهم يعرفونه جيداً . ولم تفكر سهام كثيرا ثم حددت طريقها . قالت لنفسها: ما المطلوب منى ؟ . . اليس العمل ؟ والعمل فقط . . ؟ اننى احب عملى واحب ان ابذل مجهودا نظير المرتب الذى سأخذه حتى يبارك لى الله وليس عندى وقت لفتحى وامثاله .

اما فتحى فاعتقد ان الامور تجرى لصالحه واخذ يعد نفسه لمغامرة جديدة حسبها فتاة سهله غره ادبها وخجلها فاعتقد انه واصل اليها لامحالة كيف تستطيع المقاومة وهو صاحب الامر وصاحب الكلمة المسموعة الذى يسير الامور حسب هواه وحسب رضاه . . وابتدأ يرمى شباكه حولها وهو يلف ويدور ولكنها بصدقها وذكائها الفطرى لم تكن فى حاجة لوقت طويل حتى تفهمه وحتى تكتشف اعاقة بل وحتى تلم بكل الموجودين فهى فتاة ذات بصيرة نفاذة وثقافة واسعة عركتها الايام وفرضت عليها كفاحا شاقا لتستطيع أن تعول أسره تركها الاب تصارع الحياة وانشغل هو بالزوجة الجديدة الشابة .

لاوقت للتفاهات . . كررت الكلمات لنفسها فنفورها اصبح طبيعيا من كل افاق واعدت نفسها لمواجهة الخصم . وراقب

الجميع المعركة الصامتة فى شماتة وسخرية عليهم ينالون من فتحى وسلطانة الذى فرضة عليهم لما له من حظوة وللثقة التى وضعها فيه مدير الإداره . ولم يكن هناك من يعرف لماذا يثق فيه المدير هذه الثقة الكبيرة .؟

وأساء فتحى استغلال الثقة التى وضعها فيه المدير وكان ذلك سببا من أكبر الاسباب التى دفعت الجميع للتحالف ضده عندما احسوا بأنهم على أبواب معركة قد يخسرها فتحى . . بل أصبح عندهم شبه تأكيد بأن سهام لن تقع فى الفخ . . أما فتحى فاستمر باصرار وكلما جابهته بالرفض والاحتقار كلما حاول من جديد وازداد اصرارا على اصرار وسهام تعامله ببرود بل ولا تكاد تحس به .

وغير فتحى طريقته ، تخلى عن اللين والكلام الناعم وبدأ يهاجمها ويدس لها عند المدير وزاد من كمية العمل التى تخصها وكانت تبتسم وتقول لصديقتها فيفى :

ـــ ولا يهمك . . كلة شغل علشان ربنا يبارك لنا فى رزقنا .

ثم تتضاحك الفتاتان فى خبث وسخرية من فتحى وأسلوبه البالى .

وبالطبع لم يعجب الحال فتحى . . بدا يصور للمدير أن سهام شريرة وأنها مفسدة وأن فيفى بدأت تقلدها وأن الحل نقلها كان يريد التخلص منها أحس أنها أذلته وجعلته ماده لضحك الزملاء الذين كانوا يخشونه ويعملون له ألف حساب .

وبدأ المدير يتساءل ويختبر سهام ولا يزداد الا دهشة فالبنت تعمل ولا تهمل عملا ولا يسمع لها صوتا . . . ما السر اذن . . . ؟

ورغم ذلك ولثقته فى فتحى اعتقد أنه يعرف أشياء لا يعرفها لا يستطيع أن يخبره بها وبدأت فكرة فتحى التى صورها له تطغى على الواقع الملموس واحست الفتاة أن المدير لا يثق فيها يعاملها بجفاء . . ببرود . . وكان هذا مايقلقها ولكنها لثقتها فى قدرتها قالت لنفسها :

ـــ سيأتى يوم تظهر فيه الحقيقة . . المهم ألا أفقد أعصابى

وأستمرت تؤدى عملها بأمانة حتى كان ذلك اليوم الذى قلبت فيه الامور رأسا على عقب . . فقد كان جميع الزملاء فى عمل بالخارج ولم يكن بالادارة سواها ولم يمض وقت طويل حتى حضر فتحى وسألها عن فيفى فقالت ببرود :

ـــ فى أجازه عارضة

وعم حسين ؟

فقالت :

ـــ بيوزع بوستة . .

والشلة ؟

ـــ فى المعرض مع سيادة المدير .

وابتسم فتحى فى سعادة فالجو مهيأ له لتصفية الحساب مع سهام واقترب منها فى نعومة وأخذ يتحدث عن نفسه وعن مستقبله وعن الفتاة التى يريدها ثم جلس بجوارها ثم لم يطل الأمر وبدأ يبثها غرامه بكلمات مفضوحة .

وكشرت سهام عن انيابها وسخرت منه قائلة :

ـــ يا ابنى دا كلام تقوله لعيله . . سيبك دا انت موظف محترم . . بلاش لعب عيال . .

وجن فتحى . . انها تسخر منه تعذبه . . وتمادى فى غيه .

وصرخت قائلة :

ـــ سأخبر المدير بكل شىء ان لم ترتدع . .

وضحك فتحى بسخرية قائلا :

ـــ المدير . . هاها . . مدير مين يابنتى . . ؟ دا حتة بتاع فى جيبى الصغير . . دا انسان تافه . . أنا مسيطر عليه . . دا

مايعرفش شغله . . دا أنا معرفه كل حاجة . . أنا اللى مشغل المكتب دا بصباعى . . لازم تتجاوبى معايا والاأخليه يوديكى فى داهيه . .

وهاجمها محاولا تقبيلها وصرخت سهام بكل قوتها ولدهشتها وجدت الباب يفتح والمدير نفسه يقف بالباب مندهشا ثم يتحرك نحوهما فى غضب ويمسك بفتحى الذى كان مشلول الارادة فاغرا فاه مذهولا وسمع وهو لا يكاد يصدق المدير يقول بغضب :

ـــ سأحولك الى التفتيش . . لابد أن تنال عقابك . كنت مغشوشا . . عشت طويلا أسيرا لدسائسك . . واليوم فقط عرفت حقيقتك . . ورويدا رويدا بدأ فتحى يعود لواقعه واحس بالخوف والدهشه واحنى رأسه فى خجل وانزوى بجوار مكتبه والقى عليه المدير نظرة صاعقة زلزلته فقد سمع كل شىء . . فلم يكن فتحى يعرف أن من عادة المدير أن لا يدخل الاداره الا بعد ان يقف بالباب بعض الوقت يتسمع لعله يعرف شيئا لا يخبره به فتحى . . .

انسان وحيد وراء الجدران

انا موضع اتهام . . لماذا ؟ !

انا انسانه مدانه فى نظر الجميع . . جميع الناس . . من هم هؤلاء الناس ؟

لماذا ابدو فى نظر الجميع كشيء شاذ أو خطر . . أو مخطيء من منهم بلا خطيئه لست ادرى . . ولكننى لن استسلم لاحد لن اكون ضحية لانسان . . سأحاول ان احطم الجدران الفولاذية التى تحتوى انسانيتى وتضغط على كيانى وتهدد امنى وطمأنينتى . . لست شاذة ولا خاطئة ولكننى انسانه تحب . . هل الحب خطيئة وهل انا خاطئة . . ؟

اريد من يفهم . . اريد من يقدر . . اريد من يساندنى فى معركتى مع نفس ومع الناس . . ماذا حدث لى ؟ . . لماذا انا متهمة والمفروض ان يكون كل هؤلاء وراء الجدران . . المفروض ان يكون سجانى وراء القضبان . سجانى هو المخطيء هو القاتل . . هو الذى اساء لنفسه وللناس . . نعم انا اسيره اسيرة اخطاء لم ارتكبها وواقع لم اصنعه وحياه لم اكن فى

يوم من الايام طامعه فيها . . ان ماحدث ويحدث لاذنب لى
فيه ولا شأن لى به . . كنت اعيش لوحدى لنفسى . . لحياتى
اريد إن اجعلها كما احب واهوى ثم فجأة حدث كل شىء . . فجأة
اقبل نسر جارح بانياب فولاذية واحتوانى بين ذراعيه بتصريح
رسمى من سلطة شرعية تحل الباطل وتناصب الخير العداء الشر
فى نظرها شىء مقدس طالما انها حصلت على تصريح رسمى به
مجتمع ودنيا وناس . . لاادر ماالذى دهاهم . . لااعرف
ماحدث لهم . . انهم يبدون لى كسكارى شربوا حتى الثماله ثم
صاروا صرعى ذنوبهم واحلامهم وتخيلاتهم وأنا اعتقد فى تلك
اللحظة ولو انى موجودة مع الجميع وبين الجميع الا اننى كنت
ومازلت فى وعى وهذا مايسىء اليهم ويشير اليهم باصابع الاتهام
ثم وعندما ارادو تقديمى على مذبح مطامعهم وشهواتهم للنسر
الجارح وجدوا منى مقاومة لم يقبلوها وصد حسبوه تمردا
ودفاع ظنوه هجوما ولم يكن هذا ولا ذاك . . الواقع انها
حياتى وانا احق بها . . حياتى وانا صاحبتها وان يكون ماقرروه
ابدا ولكن انا . . هل استطيع مقاومة كل هؤلاء ؟ . . هل
يستطيع طائر جريح ان يقاوم نسورا وضباعا وثعالب . .

بالطبع كان موقفى سيئا وهكذا قدمت على مذبح التقاليد البالية دون رغبتى ودون ارادتى على مائدة ذلك الذى حسبوه شيئا ولم يكن فى الواقع سوى لاشيء . . نعم لاشيء فعندما استسلمت لقدرى ورضيت به زوجا ساءنى ان اراه بعيداً عنى بعيداً عن جوارحى بعيداً عن افكارى . . بعيداً عنى بكل ماتحمله كلمة البعد من واقع وكبرياء . . هل استجديه ؟ هل اطلب منه عاطفه هل تدرس العواطف فى معاهد العلم ؟ هل تكتسب المعارف الحقيقية بالتعلم والضغط والاكراه؟ام تخلق مع الانسان وتسير فى دمائه وتتفاعل فى كيانه واعماقه . . واقع غريب وحياة اغرب واناس لايحملون من واقع الناس وحياتهم سوى الاسم اما الواقع والحقيقة فهى سراب فى صحراء المجتمع القاحلة التى لايوجد فيها سوى تخرصات حمقاء وتقاليد بالية وافكار سحقتها قرون من المعرفة لم يحاول ان يتعلم او يستفيد فسقط صريعا بين يدى الشر الذى هو خالقه .

نعم . . هذا الذى قيدونى اليه بسلسلة شرعية . . ماذا يعرف عن السانتى ؟

عن الحب ؟ عن العواطف ؟ .

انه تمثال جامد . . تمثال جميل مصقول شعره لامع وعيونه زرقاء وشبابه صوره حلوة ثم بعد ذلك لاشيء . . نعم اقسم انه بعد ذلك لاشيء . . لاشيء سوى الصورة البراقه . . ليته كان يعرف شيئا ليته اعطانى من نفسه . . من ذاته . . ليته لم يكن تمثالا جميلا . . ليته احس وعلم وتعلم . . انه لاشيء على الاطلاق .

بالله عليكم . . فى أى مكان من دنيانا العامره واعنى فى شرقنا العتيد تستطيع الفتاة ان تواجه الرجل وان تعلمه وان تتعلمه وهى قاب قوسين او ادنى من عش الزوجية . . ماذا يقول رجلها لو رأى عواطفها الجياشة واحاسيسها النبيلة التى خلقت فيها وبها وهى تعرضها على الزوج الشرعى وتحدثه عن احلامها وآمالها .

بالطبع ايها العقلاء . . او يامن تدعون تلك الصفة . . بالطبع ستكون فى نظره وهو الرجل الشرقى آفه يجب تطهيرها وشاذة يجب تربيتها وخطرة يجب الابتعاد عنها . . فتاة تعرف كل ذلك بل وتعرض معرفتها وتعلم رجلها وتطالبه وتحركه نحو الواقع . . تعتبر شيئا شاذا مريبا . . وانا لست شاذه ولا

مريبة بل انا فتاة تحاول ان تعرف نفسها وتتعرف على ذاتها وتجد امكانياتها لااريد ان اضيع فى تيه من العواطف المزيفة والافكار المتخلفة لقد اقدمت على شيء خطير حاولت تعليم من حسبوه على زوجا . . من قيدونى اليه بقيود شرعية ولـكنه لم يتحرك خطوه واحدة كان يتصرف ببلاهه ودهشه ولا يستطيع ولا يملك ان يتجاوب . . احسست نحوه بنفور شديد . . لم اجد منه تجاوبا ولا فهما وغرقت فى دوامة غريبة . . انه لايدرى اى شيء ليس فيه حساسيه ولا احساس لايعيش فى الواقع مخلوق مزيف لايعرف لاى جنس ينتمى . . رجل لايعرف شيئا عن المرأة . . لايحس بها ولا بعواطفها بل لايفهم شيئا ليس غبيا بالطبع ولكن طبعه هكذا تأكد لى انه خلق هكذا وانه سيظل هكذا لايتحرك نحو أى شيء ولا يحس بوجود شيء نفورها ثل اجتاحنى وترسب فى اعماقى لمن زوجونى ؟ ! .

اذا كان وطوال شهور الخطوبة لم يتعرف على ذاتى ولم يقدم لى ذاته . . كنت اذا طلبت شيئا يقول فى رخاوه — انا مرهق . . لااستطيع . . مرهق ولا استطيع لاخدمة يستطيعها ولا خدمات يقدمها . . لاعاطفه ولا شعور . . موجود وغير موجود ويمضى الوقت انفصلت عنه . . بكيانى ووجودى حتى

وهو موجود معى لا احس به . . اجد نفسى فى ذهول . .
لااحس به لم اعد احس به اصبح بالنسبة لى لاشىء..ثم بدأت
اهاجمه . . بدأت استثيره بدأت ارفضه ولكن دون ان اجرح
كرامته . . الا انه تقبل كل شىء كعهدى به دائما . . لم يكن
يفهم لم يكن يريد ان يفهم او يتعلم او يتعرف على أى شىء
بل وعلى اى افكار . . حقائق مذهلة ووجود مريض وعذاب
ثم اطالب بالمثول بين يديه .. اطالب بالركوع والسجود ..
اطالب بالاعتراف بولى امرى الشرعى .. زوجى الذى اعرفه
ولا يعرفنى الذى ارتبط به ولا يرتبط الا بذاته .. الا بكيانه
الا بواقعه الذى لا يمت لواقع الناس او الازواج بصلة مخاوق
ذابت عواطفه ترسبت ثلجا فى اعمق اعماق كيانه المصقول فأصبح
تمثالا جامدا ليس فيه حرارة ولا عاطفة وكتب على ان اكون له
انا الانسانه الجياشة العواطف المليئه بالتحدى الراغبة فى العيش
فى سلام مع نفسى ومع الناس ومع من قيدوه الى بقيود شرعية
مقدسة ثم يعيبون على افكارى وتحدياتى ثم رغبتى فى العثور على
نفسى وعلى ذاتى .

انا متهمة بعد كل هذا

هل هناك خطأ ارتكبته ؟ بالطبع لا . يعيبون على اننى

قررت الانفصال عنه بعد سنوات طويلة من الارتباط الرسمى وقرون طويلة من العذاب — من وجهه نظرى انا بالطبع — ولكن مصيرى ملكى انا وقرارى يخدم اهدافى انا وحياتى هى حياتى وليست حياة الناس والناس احرار وانا حرة .. لابد ان اتركه لمصيره اتركه حتى يتعرف على نفسه وعلى كيانه يعرف موقفه من المرأة ومن الرجل ومن الناس . . من كل شىء بدلا من التيه الذى غرق فيه وكاد يغرقنى فيه معه . . نعم سأتركه .. لأنى وجدت القلب الحنون .. وجدت الانسان الذى فهمنى الذى اعطانى حياتى ووهبنى حنانه وعايشنى بكل افكارى وتجاوب مع كل ما احبه واحسه .

نعم رجل اعاد إلى ثقتى فى الرجال وانسان اعاد الى ثقتى فى الانسان وعاطفة حببتنى فى كل ماهو جميل وشعور قربنى من الواقع وقادنى الى جنة عرضها السماوات والارض .. نعم مخلوق كله حيوية كله حياة كله انسانية ليس مزججا ولا مصقولا ولا ناعما .. انسان خشن الملامح فية كل شىء وليس فيه أى شىء من صوره الولى الشرعى الذى فرضوه على قدرا وقدرة وتحديا لمشاعرى ومشاعر أى انسان بعد ان انهار كل شىء أمام بصرى ارتفع البناء من جديد رائعا ومهيبأ شامخا . . عادت إلى الحياة

. . بعد أمر طويل وراء جدران صلدة سوداء شيدتها أيدى الجبابرة الذين خطوا أقدارهم وأقدار الناس فى لوح محفوظ مهشم تذروه الرياح لا واقع إلا ما أعيشه اليوم . . ما مضى زيف وبهتان . . بريق ودمار كانما هو أنقاض تخلفت بعد معركة ضارية اشتعلت النار بعدها فى كل شىء . . . نعم كل شىء .

ثم ووسط هذا الضياع وسط هذا التيه تلقفنى أيد رحيمة . أيد رائعة أيد قوية بها إرادة ولها قوة تنتشلنى وتضعنى بقرب الشاطىء بقرب شاطىء أحلامى . . بقرب الواقعية التى أعبدها . . بقرب الخير والسلام . . . نعم ليسقط كل شىء مزيف فى هذه الدنيا ولتحرس الأقدار كل شىء نبيل وجميل . . . نعم أحببت كل شىء منذ تلك اللحظة التى عرفته فيها . . ارتفع البناء شامخاً رائعا مهيبا وعشت له ثم أمدنى بالقوة . . بالشجاعة لمصارعة أقدار ظالمة وتقاليد باليه وشرعية شريره . . نعم أمدنى بقوة مهولة لأصارع قدرى وأعيد الواقع إلى مكانه الطبيعى لأننى عابدة للحقيقة عابدة للخير . . غير مزيفة . . وغير مقلده . . نعم سأواجه الناس والتقاليد والمجتمع وما اصطلح عليه لأخلق واقعا جديداً وتقاليد جديدة لأواجه فى شجاعة وصدق ذلك الأخطبوط الهائل المتوحش الذى ينهش باستمرار كل شىء

واقعى فى حياة الإنسان المعذب الذى يحاول الخلاص .

نعم الخلاص هدفى ولن يكون هدفى أقل منه اننى سأحطم قيودى سأحطم جدران السجن الفولاذى . . سأنطلق إلى رحاب الواقعية الى الحياة . . . إلى الناس كما خلقهم الله وكما يجب أن يكونوا لن أنحنى أو أستكين سأثور سأسترد حريتى منذ تلك اللحظة .

وما دام فى صحبتى رجلى وقدرى سـ ـسأحطم الصعاب وأصنع المستحيل سأنفصل عن زوجى الذى لم أعد زوجته سأبتعد عن الإنسان المصقول لأعيش للرجل الرجل الحقيقى بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان وحقائق . . . ليسقط كل شىء مزيف فى حياتنا ولتنتصر إرادة الحياة . . . إنه قرارى الأخير ولن أستمع للوم ولن أكون موضع اتهام ولن أنحنى أمام تخرصات أى إنسان . . ستكون الحقيقة واقعى والمستقبل هدفى . . . ورجلى واقعى . . ساسقط كل شىء من حسابى ولن أرض إلا بواقعى وضميرى وإنسانيتى . . لن أنحنى أمام أصابع الإتهام سترتد أصابع الإتهام إلى أصحابها لأنهم هم الخطاه . . . نعم سانتصر على كل شىء لأنى اريد ان اعيش وان احطم جدران السجن الفولاذى . . ذلك القمقم المسحور الذى خلفه مجتمع بلا ماض ولا حاضر ولا مستقبل . . لأنى املك حياتى واملك مستقبلى وابشر بمجتمع جديد .

الحرب والامريكان

ابتسمت المدرسة الشابة فى سعادة وهى ترى تلاميذها الصغار وقد التفوا حولها محتمين بها ، منصتين لما تقوله لهم . وكان ماتحدثهم عنه يعرفونه جيدا ، ولكنهم فى شوق متجدد لسماع المزيد . . وفجأة ولولت صفارة الانذار مؤذنة بوقوع غارة .

وبسرعة البرق ، اختفت الابتسامة من على الوجوه البريئة وحل محلها خوف وتساؤل واكتسى وجه المدرسة الشابة بالتحدى والشعور بالمسئولية . . وسرعان ما جمعت أطفالها ، وأسرعت بهم الى الدغل القريب من المدرسة ، التى لم تكن سوى خيمة وسط الاحراش . فلم يعد للاطفال مدرسه . . فقد هدمتها الطائرات المغيرة ، ولم تكتف بذلك فهى دائما تبحث عن الضحايا لتحصدهم بمدافعها الرشاشة . تكوم الاطفال حول مدرستهم وقد شملهم سكون غريب . . وفجأة . . سأل أحد الاطفال مدرستهم :

— هل ستمنعنا طائرات الاعداء من الاستحمام ؟

وابتسمت المدرسة ، وقالت :

— لن يمنعونا ابدا . . سنستحم ولكن بعد أن تنتهى

الغـــارة .

وفى الخارج كانت المدفعية ماتزال تزأر وهى تطارد الطائرات المغيرة . . وصرخ أحد الجنود عندما رأى واحدة من الطائرات تهاوى والنيران مشتعلة فى جناحها . .

ـــ سيدى القائد ، الطيار يهبط بالمظلة . .

وعلى الفور . . أمر القائد دورية بالذهاب للبحث عن الطيار واحضاره . . ويزداد الحماس وتزداد المدفعية ضراوة وهى تدافع عن السماء المهيضة الجناح السماء التى استباحها الاعـــداء الاجانب . . وعلى البعد . . وبعيدا عن دائرة النار . . هبط الطيار وفور هبوطه أسرع بالتخلص من مظلته ثم أسرع مختفيا وسط الغابة . . واستمر يسير وسط دغـل كـثيف خائضا فى المستنقعات حتى ركبتيه ويقف فجأه . . فقد سمع صوتا . . ثم يخفى نفسه فى مياه المستنقع . . وتـكاد أنفاسه تختنق ، فيرفع رأسه ، ولا يسمع شيئا ، فيتحرك من مكانه . . ثم يخرج من البركة ، ويجـلس فى ظل واحـدة من الاشجار الـكبيرة كـان السكون يشمل المكان . ولا يسمع الا زقزقة العصافير النادرة فلا ريب . . أن ، المعارك الدائرة نفرت الطيور من المكان . . فهربت الى مكان أكثر أمنا . . ويبدأ التعب يتسلل الى جفنيه

فأغمضها . . ولكنه لم يستطع أن ينام . . وظل فكره مشغولا
.. عاد به إلى بلدته فى أمريكا .. كم كان سعيدا هو وأسرته..
انه يتذكر كل شىء . . يتذكر منزله الجميل المطل على الشاطىء . .
وأحلامه الشابة التى تدور حول المستقبل .. وفجأة تقفز أفكاره
إلى الطيران والحرب . . وكيف اختاروه لمعركة « فيتنام » وما
قالوه له . . أنه ذاهب للدفاع عن بلده . . عن أمريكا . . ولم
يسأل نفسه وقتها ، كيف يكون الدفاع عن أمريكا بتدمير بلاد
بعيدة . . بلاد صغيرة . . بلاد ليس بينها وبين أمريكا خلافات
. . . والآن وبعد أن رأى الدمار ، وعاش وسط النار . . يجد
نفسه يتساءل :

ــ حقا . . كيف لم يسأل نفسه هذا السؤال قبل الآن . . ؟

وأخرجه من أفكاره صراخ . . فهب مذعوراً . . حاملا
مدفعه الرشاش . . وظل يجرى وفجأة وجد نفسه أمام بحيرة
واسعة . . ورأى مجموعة من الأطفال يبكون ويصرخون . .
وتوقف بالقرب منهم وشاهدوه . . وبان الانزعاج على وجوههم
. . ولكنهم وجدوه يبتسم لهم ، فاقتربوا منه . . ثم أخذوا
يحدثونه . . ولم يفهم شيئا . . إنما تطلع فى اتجاه البحيرة . .
وهنالك رأى طفلا يصرخ . . كان الطفل متعلقاً بقطعة من

الخشب . . يغالب الخوف . . وأحس الطيار بقلبه يخفق . .
أحس بالخوف من أجل الطفل ، تبخر كل ما لقنوه له . . لم
يعد ذلك الطيار المقاتل الذى يسعده حصد أرواح أكبر عدد من
الأعداء ، لقد هزته براءة الأطفال واستغاثة الطفل . . شعر
بانه مطالب بإنقاذه . . انه طفل وبدأ نوع من التردد يتسلل
إلى نفسه . . انه إن أراد إنقاذ الطفل سوف يخلع ملابسه
ويترك سلاحه وقد يحضر الأهالى ومعهم جنود ويأسرونه . . ؟
. . ولكن تردده لم يستمر . . فاسرع يخلع ملابسه . . ثم
ألقى بنفسه فى البحيرة . . وهلل الأطفال وضجوا بالفرح . .
وظل يسبح ويسبح حتى وصل إلى مكان الطفل . . وهناك . .
أدهشه وجود شابة تكافح من أجل إنقاذ الطفل . . كان لم
يرها فقد كانت فى القاع تحاول تخليص الطفل . . وعندما رأته
بوجهه الغريب شملها خوف هائل ، وأرادت أن تصرخ ولكنها
لم تستطع . . شلها الخوف . . وغطس الطيار فى الماء
واقترب من مكان الطفل ونجح فى تخليص قدمه التى كانت محشورة
بين فروع شجرة عتيقة تضرب بجذورها فى أعماق البحر . . ثم
حمل الطفل وظل يسبح ومن ورائه المدرسة التى كانت تسبح
وفكرها مشغول . . كانت تسال نفسها فى دهشة :

ـــ لا ريب أنه من الأعداء . . ولكنه ليس مثلهم . .
لقد أنقذ الطفل . . لماذا . . ؟ وابتسمت فى سعادة . . وعلى الشاطىء . . لم يكن الأطفال وحدهم بل كان معهم مجموعة من الجنود كانوا . . فى انتظاره . . ومعهم ملابسه وسلاحه . . والدهشة مرتسمة على ملامحهم . .

لقد تخلى عدوهم عن سلاحه وحذره لينقذ طفلا من أطفالهم . . طفلا فيتناميا . . والأمر فى نظرهم غريب . . فالطيار واحد من آلاف الطيارين الذين يدمرون بيوتهم . . ويحيلون حياتهم جحيما دون أن يكون بينهم ثار . . تساؤل ودهشة . . وتطلع نحو الطيار الذى وصل الى الشاطىء حاملا الطفل . . وشهر الجنود أسلحتهم . ولكنه لم يعرهم التفاتا .. إنما كان كل همه اجراء الإسعافات السريعة للطفل . . وبعد أن انتهى وعاد إلى الطفل وعيه . . اقترب منه قائد الدورية .. ثم قال له بانجليزية ضـــعيفة :

ـــ هيا أيها الطيار . . أنت أسيرنا . . واقتربت المدرسة من الجنود . . وتطلع الطيار الأسير نحوها ، وأسعدته الابتسامة الحانية التى افترشت وجهها الصبوح . . وتبددت شكوكه . . وبانجليزية سليمة قالت :

ـــ أيها المنقذ . شكراً لك . . ليس بيننا وبينك ثأر . . لا تخف ان جنودنا رجال بواسل وسوف يعاملونك معاملة شريفة .

وابتسم الطيار فى سعادة ثم قال :

ـــ آنستى الجميلة . . أشكرك على هذه الكلمات الرقيقة التى لا أستحقها ، لقد شعرت الآن بالعذاب الذى سببناه لكم . . انهم هناك يغررون بنا . . انى أحس بالخجل أتمنى أن أشرح للعالم أجمع والناس فى بلدى ما لمسته بنفسى . . انى آسف . .

واتسعت ابتسامة الفتاة واقتربت منه . . ثم صافحته بحرارة وقالت :

ـــ لن ننساك . . وأرجو ألا تنسانا . . وابتسم الأسير فى سعادة . . انه فى حاجة لهذا الحنان . . لهذه الابتسامة . . فلم يعد غريبا أنه يحب هؤلاء الناس . . انه ينتمى اليهم . . انه إنسان . . . ؟

لحظة تم فيها كل شىء

والآن يا مجدى ماذا تريدنى أن أقول ؟ ليس لى القدرة على أن أتخلص من عواطفى نحوك . . . إننى أعترف . . لقد أحببتك حتى قبل أن تعترف أنت بحبك لى . . كنت فى نظرى بطلا . . كنت أيامها صغيرة وكنت أنت ضابطا تتألق النجوم على كتفيك وكنت أسمع عن أخبارك عن بطولاتك عن بطولة رجال الصاعقة الذين كنت تقودهم فى معركة ضارية ضد قوات الغزو الثلاثى . . . ثم كنت أتشوق لمعرفة أخبارك فى غيابك كنت احس بأنك كل شىء فى حياتى وعندما تحضر إلى القاهرة أظل أحلم برؤيتك ثم وعندما تحضر إلى يخفق قلبى وتزداد ضرباته وتصبح دقاته غير عادية وتتصاعد الدماء حارة إلى وجهى ويهتز كيانى وأحس بالقشعريرة تزحف إلى أطرافى الباردة ثم وعندما تتحدث معى وتبتسم عيونك فى سعادة وأنت تلاحظ إرتباكى ثم اكتشف مقدار حبى لك يوم أن قالوا أنك قد أصبت . . سقطت صريعة فى فراشى مريضة وليس بى مرض واحتار الأطباء ثم شيئا فشيئا وعندما كنت أستمع أنباء تماثلك للشفاء كنت ابرأ من مرضى وتعود إلى صحتى وعندما التأم جرحك

أحسست بالشفاء ولن أنسى ماحييت يوم أن زرتنا بعد خروجك من المستشفى ونظراتك الضاحكة وأنت تقول :

ـــ الله ؟؟ سهير مالك ؟ إنتى كنتى فى المستشفى زى ولا إيه؟

وتجلجل ضحكاتك الصافية وأنت تضغط يدى النحيلة بيدك القوية واستكانت يدى للمسك الحالم وفى نفس اللحظة التى التقت فيها عيوننا . . أحسست أنك تعرف كل شيء . . تعرف اننى أحبك وكأنما فاجأك الأمر فقد استغرقت فى التفكير ثم وبسرعة تركت يدى وعدت إلى واقعك وابتسمت فى سعادة .

ولم نلتقى بعدها إلا بعد شهور فقد سافرت أنت إلى أسوان فى مهمه تدريبيه وعشت أنا طوال هذه الشهور أحلم وأفكر وكان كل من يرانى يحس أننى وحيده وإننى أحلم بشيء وأفكر فى أشياء . . . لاحظت والدتى ذلك وضحكت ضحكتها الحبيبه وهى تقول :

ـــ سهير ؟ ؟ إيه الحكاية ؟ أوعى تكونى بتحبى ؟ ؟ . . يا ترى مين ؟ ؟ إنتى لسة صغيرة .

واحمر وجهى خجلا لقد عرفت أمى حكايتى أحست بعاطفتى . . عرفت أنى أعيش فى دوامة . . عرفت أننى أحب ولكن من هو حبيبى ؟ لم تكن تدرى ثم وعندما عدت أنت ولاحظت

سعادتى و فى تنقلى أرجاء البيت وأنا أكاد أطير طيرانا تساءلت فى دهشة :

— سهير ؟ ؟ إيه الحكايه ؟ ؟ . . آه فهمت ثم ضحكت ضحكة صافية أقسم لقد أحسست أمى . . وعرفت سر سعادتى .. عرفت اننى أنتظرك يا مجدى . . اننى لم أعد صغيره وأن قلبى ينبض فى سعادة ينبض من أجلك .

ومنذ تلك اللحظة تغيرت معاملتها لك . . . أصبحت اكثر حنواً واكثر إهتماما . . كانت تحوطك برعايتها طوال مدة زيارتك ثم بدأت تدعوك إلى منزلنا . . ثم عرفت أنت حكايتى عرفت تعلقى بك أحسست بأننا جميعاً نحبك ولذلك لم يدهشنا أن تتقدم لخطبتى . . رحب بك الجميع . . أحبك كل من فى البيت . . حتى صديقاتى حسدننى فقد كن يعرفنك خير معرفة من كثرة ما حدثتهن عنك . . من كثرة ما وصفتك لهن . . من كثرة ما أضفيت عليك من صفات . . أما عن سعادتى فكيف أعبر لك عنها . . كيف أقول لك إننى بت لا انام من شدة فرحى . . كنت افكر فيك طوال النهار . . بل وطوال الليل ولم يكن يشغلنى شىء عن التفكير فيك .. كنت سعيدة بك .. سعيدة بتحقيق امنيتى .. سعيده بكل ما يحيط بى .. اقسم

لك أنى أحببت كل الناس حتى عمتى التى لم أكن أحبها . . وجدتنى
أزورها وأسأل عنها وأدهشها تحولى وفى الحقيقة لم يكن هناك
داع لنفورى منها . . . قد تكون ثرثارة أو خبيثة . . ولكن
ليس هناك سبب يدعونى لكرهها . . . أحببتها فقد علمنى حبك
حب الناس . . حب الواقع . . . حب كل شىء طهر قلبى وطهر
نفسى من نزوات النفس البشرية وآلامها . ثم وأنا فى قمة سعادتى
هبطت بى الأقدار إلى الجحيم . . مره واحدة وجدت نفسى
وحيدة . . وجدت نفسى غارقة إلى اعمق أعماق فى حزن هائل . .
لقد اختطفك القدر منى بضربة واحدة ضيعت أحلامى ضربة
واحدة هدمت واقعى ضربة شريرة آثمة من قدر غشوم تركتنى
عارية من كل شىء . . . منذ تلك اللحظة عشت لك . . عشت
من أجلك ولكن الآن ياحبيبى . . . أراك تتطلع إلى من خلال
زجاج الإطار الحزين الذى يحتوى صورتك الحبيبة المجللة
بالسواد . . . أحس بنظراتك تخترق أعماق تهزنى . . تدغدغ
حواسى تعذبنى تؤلمنى . . لست خائنة يا مجدى . . . سأشرح لك
كل شىء . . . جرس الباب ينادينى . . قد يكون هو ولكن
صبراً . . مجدى الدموع تسيل على خدى . . تفسد زينتى التى
أخذت منى مجهوداً كبيراً . . لم أكن أود أن يحدث ذلك

ولكن أنا إنسانة يا مجدى . . إذ أننى يا حبيبى استجبت لطبيعة البشر لكلام الناس لنصح الناصحين .. للواقع .. لنداء الحياه .. لأنى إنسانة بكل ما فى الإنسان من ضعف . . أنا أحبك ولكن حياتى . . . هل اتركها تذهب هدراً . . لقد مر وقت طويل . . سنوات من عمرى راحت والمرأة كلما أضافت إلى عمرها يوماً واحداً . . رسم القدر تفاصيله على وجهها .

أنا حزينة . . ولكننى آسفة . . كنت أود ان أقضى بقية عمرى فى محرابك . . ولكننى استجبت للحياه . . للواقع . . لدنيا الناس . . هل تغفر لى ؟ . . لست كاذبة . . أقسم انى صادقة ولكن الواقع والحياة والناس . . كل الناس قالوا لى :

— لقد استشهد مجدى ولن تقضى بقية عمرك تبكينه ؟ . . تزوجى تزوجى وتمتعى بشبابك . . الحى أبقى من الميت .

ولكن هل حبك راح من قلبى يا مجدى . . هل حبك راح من قلبى يا مجدى ؟ . . هل حبك ذهب إلى غير رجعة . . أكون كاذبة إذا صدقت نفسى . . كلا يا مجدى .. إنى احبك وحبك واقعى وحياتى . . حبك كل شىء فى دنياى . . حتى لو تزوجت عصام . . إنه شاب طيب . . اخترته لأن له ملامحك وأردت ألا يكون له صلة بأى عمل خطر كعملك ام أقبل ضابطاً أو

مغامراً . . . أردت إنسانا عاديا ولكنه يشبهك . . إذا كنت رضيت أن أقترن به . . فقد اقترنت به من أجلك . . من أجل نفسى . . أنا أحبك يا مجدى . . أحبك ومن أجل حبك اقترنت بعصام . . سامحنى يا حبيبى . . سامحنى . . فأنا مضطره لأن أودعك مضطره لأن انصرف . . لأستقبل عصام . . لأستقبل واقعى الجديد . . وداعا يا مجدى وداعا يا حبيبى قد اضطر يوما إلى رفع صورتك من منزلى حتى أنسى . . ولكن ليس معنى ذلك اننى أستطيع أن ارفع صورتك من قلبى من واقعى . . . من كيانى . . إنها محفورة لأعمق ما تكون فى كل جوارحى . . فى كل كيانى وداعا يا حبيبى . . وداعا ولا تحزن لـ فراق . . فأنا أريد ان أعيش لأكرس حياتى لذكراك لذكرى حبى ومن يدرى ربما أنجبت طفلا جميلا . . أقسم أننى سوف أطلق عليه إسمك . . سيكون مجدى الصغير صورة منك . . امتداد لك حتى ولو كان والده غيرك سيعيش معى دائما رغم أننى سأرفع صورتك . . رغم اننى سأصبح واقعية ولكنى سأكون معك بروحى بكل جوارحى . . وداعا يا حبى . . إننى ذاهبة . . إلى الواقع . . . إلى الحياة . . . إلى دنيا الناس .

كتب تحت الطبع

للمؤلف

الموتى لا يبعثون	قصة طويلة
عذراء وادى الشمس	قصة طويله
ما بعد يونيو	مسرحية فى ثلاث فصول
شعب لا يموت	مجموعة تمثيليات



- السيد ابراهيم
- مفتش الجمعيات الثقافية بوزارة الثقافة
- نشر إنتاجه بكثير من الصحف والمجلات
- الجمهورية
- الأدب
- الثقافة
- القصة
- الأديب البيروتيه
- روز اليوسف
- الصياد البيروتيه
- حصلت تمثيليته ـ شعب لا يموت ـ على جائزة الإذاعة المغربية عام ١٩٦٤

الناشر العربي ـــ ٨ ش الصحافة